

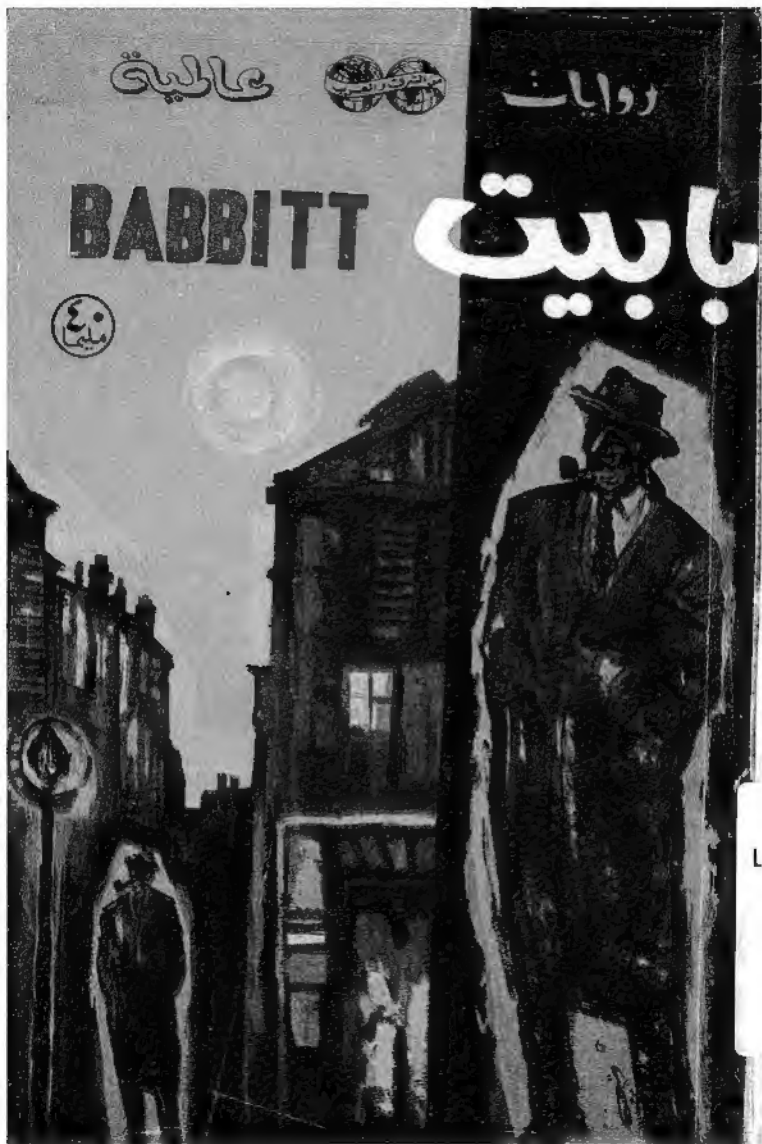
عالمیہ



روایات

BABBITT

بابیت



دولت عالیہ

یادیں

مقامات الامریکی الکبریٰ
سنگلیر لوین

الفصل الاول

- ١ -

توق ضباب الصباح تامت أبراج « فرينت » .. أبراج من
الفلاد والاسنت .. رأسحة كالجبال .. ملها كأنها قطبان من
الفضة .. ولم تكن قلاعا أو كنائس .. وإنما ابنية لمكاتب الأعمال ..
ففى قلب المدينة تقوم الابنية الشاهقة .. مكاتب البريد
والتلغراف .. مصانع ذات مداخن ملوثة بالسواد .. عمارات لها
لون طينى معتم .. ولكن على التلال وعند سفوحها تقوم بيوت
جديدة مشرفة ذات أبراج نظيفة - كأنها بيوت للضحك والهدوء ..
وعبرت الجسر سيارة ليوزين . لا تسمع لمحركها دويًا ..
لقد رجع هؤلاء القوم الذين يرتدون ثياب السهرة السوداء من
حفلة سرجية ضاعفت أقداح الشمعانيات من طابعها الفنى . وتحت
الجسر تمتد قطبان السكك الحديدية تلتصع على جانبيها الانوان
الحمراء والخضراء ..

ومن احدى ناطحات السحاب تتعالى الفشاريات الكهربائية ..
وفى الداخل تملق الابواب وتتناهض عمال التلغراف للانصراف بعد
أن امضوا ليلة تحدثوا فيها الى باريس والى بكين واتصلوا بطول
لا حصر لها فى أقصى الدنيا ..
واخذ ضباب الفجر يتبدد .. وحفل الطريق بجموع من
العمال يحملون عليها غذاؤهم .. خمسة آلاف عامل يروحون
ويغدون منهمكين فى العمل تحت سقف واحد ..
ودوت صفافير المصانع .. كأنها انشودة موسيقية تحيي بروغ
الفجر - اقنية الممل الداوية فى مدينة بيت فيما يظهر للجبابرة
والممالة ..

- ٢ -

ولكن لم يكن لا عملاقا ولا جبارا ، ذلك الرجل الذى بدأ
يستيقظ فى بيت مشيد على الطراز الهولندى فى حى المساكن
المعروف باسم « فلورال هايتس » ..
وكان اسمه « جورج ف . بايت » .. وكان فى السادسة
والاربعين من العمر .. ولم يكن ممن يمارسون المصناعات .. فلم
يصنع لا زيدا ولا أحدا .. ولا ولم يقرض حتى الثمن .. وإنما
تتخصص براعته فى حث الناس على شراء يسوت بأثمان أعلى مما
يستطيعون أن يدفعوا ! ..

- ٣ -

ولم يكن بدينا ، ولكنه يسرف في التهام الكميات الكبيرة من الطعام .. وجنتاه مكتنزتان ويده الموضوعة على الأعطية تبدو بشعة سميكة .

وهيئته توحى الى من يراه انه ناجح في الحياة ومتزوج الى أقصى حدود الزواج . ومجرد من الخيال والطابع الروائي . وكان مخدمه أيضا مجردا من الصبغة الخيالية والطابع الروائي ، إذ كان يطل على حديقة صغيرة ليس فيها سوى الاعشاب وممن مرصوف بالاسمنت وجراج له سقف من الحديد .. ولكن على الرغم من هذا كله كان « بايت » يحلم .. يحلم بفناء خرافية .. لا تتراعى له الا في الاحلام .

منذ اعوام وهذه الفناء الخرافية ترتاد احلامه . وفي الوقت الذي لا يرى فيه الناس الا جورج بايت كانت هي ترى فيه الشباب القياض المتدفق . وكانت ترتقب قدومه متزوجة في الظلام ، فاذا ما تخلص من أسرته خف اليها مسرعا . وكمن مرة حاولت زواجه وحاول اسدقاؤه ان يلقوا به ولكنه بفلت منهم هاربا والفناء الى جواره فينطرحان معا على سفوح التلال المظلمة .

وفناء احلامه هيفاء القوام مشرقة الوجه شديدة اللبسة والهيام . ! وكمن هفت وهي تبكي انه مرح وشجاع أو انها ستقيم في انتظاره ثم يرحلان الى .. .
وايقظته من نومه قلقة مركبات الليل .

وتوجه « بايت » وتاوه .. وحاول ان يرتد الى حلمه .. ولكنه لم ير منها الاوجها يخفيه الضباب .. واصطلق باب الطابق الارضى .. ونجح كلب في البناء المجاور . ونهض بايت وهو يستهد ومعدته صاخبة هائجة ولما وقف يتمطى في الغرفة سمع دوى سيارة « فورڤ » .. وبايت نفسه خبير في السيارات ولوع بها . فآخذ يسب في سره سائق السيارة ويلعنه ويخيل اليه ان دوى المحرك المطوب تاوهات حزينة يطلقها مريض لا رجاء في شفاؤه . وظل في مكانه يرتعد غضبا ولم تهذا تاثرته الا حين استندل من صرت المحرك ان المطيب زال . وان السيارة انطلقت في طريقها .

وارسل بصره من النافذة وجعل يعنى نفسه بيوم سعيد مليء بالمغامرات . وقد كان هذا دأبه دائما منذ كان صبيا .

ولم يرجع الى الحقيقة الا لئمة الا حين دوى رنين جرس المنية مؤذنا بان الساعة قد بلغت الساعة الثالثة .

كان هذا المنبه من أحدث طراز أخرجه الاسواق . فهو مزود بقرص طليت ارقامه بالفسفور . ويجرس بندق على أنغام أجراس الكنائس وبديك يصبح عند الفجر . . الى غير ذلك من الاجهزة الحديثة . وكان بابيت فخورا ومزهوا بأنه يستيقظ على منبه من هذا الطراز .

واعترف في حق أن لا مهرب من الحقيقة . فلمن مهنته ولمن أسرته ولمن نفسه لأنه لعنهم .

في مساء اليوم السابق حتى منتصف الليل عند غير جبل جانس يلعب القمار . ومن عادته أن يستيقظ هائج الاعصاب عقب السهرات التي من هذا القبيل فلا تهدأ ثورته الا اذا التهم قطوره . ولعل مرجع ذلك الى أفداح البيرة التي تناولها والسجائر الضخمة التي اقرته البيرة بتدخينها . . ولعل مرجع ذلك الى استياله النزول من حريته كرجل من رجال المجتمع والمودة الى نطاق ضيق خانق لا يرى فيه الا الزوجات والسكرتيرات ونسائح لا تنتهي تحضه على الافلاع من التدخين .

وزمجر ساخطا وجلس على حافة الفراش ونظر في حيرة الى البطانية : انها عنده رمز الحرية والبطولة . . ! كان في نيته ان يقوم برحلة في الغلاء فاشترى البطانية ولم يقم بالرحلة . . انها عنده رمز التكاسل المحبوب والخط المحبوب .

ونظر من النافذة واخذت عينه الجراج . . وردد جملة المعهودة الجملة التي يرددتها في العام ١٩٦٥ مرة : يجب ان اهدم هذا الجراج واشيد مكانه جراج على الطراز الحديث . لعمري انه الشيء الوحيد الضيق في المنزل . . ! وقصد الى الحمام . .

وكان الحمام مشيدا على أحدث طراز ومزودا بكل الاجهزة والادوات المعصرية . ففيه اجهزة للتدليك والتجفيف ولكي الشعر . . الى آخره . ولكن بابيت الذي يمد الاختراعات الحديثة لم يكن راضيا مسرورا : كانت تفوح في الحمام رائحة دواء اسنان . . تبا لفيرونا . . ! لقد خالفت امرى مرة اخرى . . ! بدلا من أن تستعمل الليليدول كما نهت عليها أكثر من مرة عادت تستعمل معجوننا له رائحة خانقة . . !

كانت سحابة المطاط المبسوطة الى جوار حوض الاستحمام مبللة بالماء وكذلك كانت الارضية . . من مادة ابنته فيرونا أن

استحم في ساعة مبكرة * وزاقت قدمه على السجادة فوقع في حوض الاستحمام وقال : « يا .. ! » وفي غضب نشأ أنبوبة صابون الحلاقة . وفي غضب أجرى الشفرة على لحيته وكانت ثالثة فضايقته وجرحته ذفته فقال :
- « يا .. ! أوه .. يا .. ! »

وبحث في دولاب الصيدلية عن لغافة من الشفرات الجديدة وخطر له خاطر القديم المهود : « يحسن بي أن أشتري جهازا لشحذ الشفرات فهذا أدعى إلى الاقتصاد » . ولما اكتشف اللغافة بعد جهد مخبأ خلف عليه بيكرينات الصودا سخط على زوجته إذ وضعتها هناك . وسخط على نفسه لأنه لم يردد كلمته الماثورة : « تبا .. ! » ولكنه نطق بها على الفور عقب ذلك عندما أميته إزالة الشحم المدعونة به الشفرة الجديدة .

وجابهته المشكلة التي لا تنفك تجابهه دون أن يجد لها حلا : ماذا ينبغي أن يصنع بالشفرة القديمة . ؟ وكيف يتخلص منها . ؟ ولقاهما فوق سقف الدولاب وفي نيته أن يأخذها في يوم من الأيام مع الغصين أو السنين شفرة التي لقاهما من قبل وفي ذهنه نفس النية .

وفرغ من الحلاقة وقد اشتد به السداع لاشتداد سخط ولاشتداد جوعه . ولما أراد أن يأخذ المنشقة التي المناشف جميعها مبتلة بقطر منها الماء . كلها مبتلة لا تصلح لتجفيف الوجه . وحتى منشقته التي تحمل الحرف الأول من اسمه كانت مبتلة . وهنا أقدم جورج باييت على عمل جنوني . عمل لا يقدم عليه إلا التمرد اليائس : مسح وجهه بمنشفة الضيوف .. !

كانت منشقة مطرزة موشاة بالحبر تملق في الحسمام دائما لتنتفع أهل البيت أنهم ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الرفيعة .. ولم يستعملها أحد من قبل . وحتى الضيوف لم يجسروا على استعمالها . بل كانوا يؤثرون عليها دكنا صغيرا من أقرب منشقة من المناشف العادية .
وكانت فورة الغضب فلا ملات نفسه :

- طعما .. يستعملون المناشف جميعها .. وحتى منشقتي الحقيرة بأبون أن يتركوها لي .. يبلون جميع المناشف بالماء الذي يقطر من وجوههم القدرة ولا يصفون لأجلي منشقة جافة .. طعما أننى الحمار الوحيد في هذا المنزل . ! ولكنى في حاجة إلى منشقة .. وسأحصل على المنشقة مهما كان .. أننى الشخص الوحيد في هذا المنزل الحقمير الذي يثال أحقر قدر من الاحترام والاعتبار ..

ليس هناك من يهتم بي .. وتصور أن هناك من سيستحم بعدئ
في هذا الحمام الصغير .. وتصور ..
وانتقل إلى الحوض وفتح الشبور إلى نهايته وجعل يضي
إلى خريف الماء طربا مأخوذا وقد تمثل في هذا الصوت زمجر فرجل
بنفس من صدره فضيته .
وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخلت زوجته . وتظرت إليه في
دعشة وقالت :

- ماذا تصنع يا عزيزي جورجى ؟ اتنوى أن تغسل المناشف
ولكن لا ضرورة لأن تغسلها .. جورجى .. انك لم تستعمل منشفة
الضيوف ؟ قل انك لم تستعملها !
ولكن التاريخ لم يسجل انه القى إليها جوابا .
لا .. بل لم يجرؤ حتى على أن يرفع يده عنها ..

- ٤ -

كانت ميرابايت : مسز جورج ف. بايت : فاضحة الجسم
على شيء من البدانة . وحول فمها خطوط غائرة ومنعها سراجية
مترهلة .. ولكن الشيء الذى يدل على أنها تجاوزت طور الشباب
أنها لا تتكلم شيئا أمام زوجها . ولم يكن يزعمها أنها لا تتكلم ..
وكانت في هذه اللحظة مرتدية جاكته صغيرة وكورسيه بارزا عند
بطنها دون أن يبالى بيروزه لقد اعتادت الحياة الزوجية المضطربة
الباردة اعتيادا عيقا حتى صارت في انعدام جاذبيتها وانوثتها آتية
بالرايات . -

وهي امرأة نبيلة الخلق ودعما الطباع شديده العطف . ولكن
هذا ابتها الصغيرة تبتكا التي تبلغ من العمر عشر سنوات - لم
يكن في الدار من يحفل بها أو من يشمر بانها على قيد الحياة .

وبعد أن ألفت صحاضرة طويلة من الوجوه التي ينفسى أن
تستعمل فيها المناشف وعن الفرق بين مناشف الضيوف ومناشف
أفراد الأسرة . أظهرت عطفها على بايت بمناشيه صداعه . وقد
حرصت على أن تقول أن هذا الصداع ناشئ عن إفراطه في شرب
البيرة . وكذلك حرص بايت على أن يذكرها بأنه بحث طويلا عن
قميصه وأنه وجده في غير موضعه منزويا وسط البيجامات .

ولكنه كان ظريفا عندما انتقل الحديث إلى البذلة الرمادية :
- ما رأيك يا ميرابايت ؟ هل البس البذلة الرمادية يوما آخر ؟
- أنها تبدو جميلة عليك .

- أعرف ذلك ولكنها في حاجة الى الكي .
 - يجوز .. ربما كانت حقيقة في حاجة الى الكي .
 - ولكن لا داعر الى كيها اليوم .
 - اظن ذلك .
 - والجاكنة ليست في حاجة الى الكي على الاطلاق . ومن
 الحمافة أن تكون البدلة كلها .
 - هذا صحيح .
 - ولكن البنطلون في حاجة الى الكي .. انظري ما فيه من ثن
 وتفضن .
 - هذا صحيح .. ولكن لم لا ترتدي يا جورجى الجاكنة
 الرمادية مع البنطلون الأزرق ؟
 - يا اللهى ..! أرايتنى يوما ارتدى جاكنة وبنطلونا من لونين
 مختلفين ؟ . انحسيتنى بانعا في متجر ؟ .
 - اذن لماذا لا ترتدى البدلة الرمادية الغامقة لترسل هذا
 البنطلون الى الكي ؟
 واستطاع باييت ان يتغلب على باقى عقبات الثياب بنفس
 الهدوء والعزم وكانت اول عقبة ذلها البحث عن زر القميص عندما
 أفلت من بين أصابعه . وكانت آخر عقبة انقطاع رباط الحذاء وهو
 يشده في عتف .
 ولما وضع على عنيه نظارته ذات الأسلاك الذهبية اكتسب
 وجهه طبع رجل الأعمال الذى اعتاد أن يصدر الأوامر الى الكتبة
 والموظفين والذى اعتاد أن يدبر أعماله على نمط نظرى .
 وأمضى وقتا غير قصير يقاضل بين ربطين من رباطات المنق .
 وجعل يذكر لزوجته مزاياء هذه ومزاياء تلك . وأيهما أكثر انسجاما
 مع البدلة الرمادية الغامقة . وزوجته لاهية عنه منصرفة من
 حديثه الى تثبيت جاكنتها في قميصها بدبوس أنجليزى .
 أما الحادث التاريخى العظيم فكان نقل محتويات البدلة
 الرمادية الفاتحة الى البدلة الرمادية الغامقة . كان شديد العناية
 بنقل هذه المحتويات وكلما أفرغ جيبا من الجيوب عاد يفتشه من
 جديد خشية أن يكون قد نسي فيه شيئا أو أن يكون فى الجيب
 مضميا سرى .
 ومن بين هذه المحتويات قلم من الأبنوس وقلم وصاص من
 الفضة تنقعه الرصاصات دائما . وفى سلسلة ساعتها حلقة . وفى
 الحلقة مبراة من الذهب ومقطع فضى لقطع أطراف المساجير وسبعة

مفاتيح لم يستعمل منها في حياته الا مفتاحين منها . وفي الطرف الآخر من السلسلة ساعة يمكن ان يوصف في بعض الاحبار انها ساعة جيدة . وفي السلسلة ايضا شلوة تثبت انه عضو في جمعية حماية الوعول

ومن بين محتويات جيبه مفكرته المجيبة - وهي مفكرة من الطراز الحديث ذي الاوراق المنفصلة التي يسهل برع مالمستغنى عنه منها . .

ولكنها كانت لا تزال تنظم عناوين اشخاص سيهم . واوراقم حوالات بريدية وصلت اصحابها منذ شهور مضت . وطوايع بريد انقضت المدة المحدودة لاستعمالها ومذكرات بلغت بها نعمة الى ضرورة مهمل اشياء لم يكن في نيته ان يعملها ولم يعملها فعلا . وفي احدى الصفحات حروف هذا بيانها :

ا د م س . ج . هـ . ز . ح . ط . ي . ك . ل . م . ن . س . ص . ذ . د . ل . ي . هـ .

وقد رمز بهذه الحروف الى شيء معين حتى لا يعرف سواه هذا الشيء اذا وقعت المفكرة في يد زوجته مثلا . وكانت النتيجة ان زوجته لم تعرف هذا الشيء وكذلك لم يعرفه جورج بابيت !

ولكن لم تكن بين محتويات جيبه علبة سحائر ، مما اهداه احد علبة وما فكر في شرائها . واحيرا نقل الى جيب بدلته شعار صطوبته في نادي بوستر . وكان مغورا بهذه العضوية الا تجمع بينه وبين نعر من عظام الرجال ؛ هذه العضوية في راية هي وسام الشرف .

وفي اثناء ارتدائه ثيابه وبين مشاكل الثياب افضى الى زوجته بعض همومه قائلا :

- اني احس اليوم خمولا واظنني اسرقت في تناول الطعام بالامس لا ينبغي ان تصنعني فطائر المور .
- ولكنك انت الذي سالتني ان اصنعها لك خبيثا .

- اعرف ذلك ولكن على المرء ان يضئ بجهازه البصري هنلما يتجاوز الاربعين . قليلون هم الذين يمتون بمسائل الغذاء في مثل هذه السن . طبعا يشتهي المرء عقب العمل المضني ان يتناول طعاما ثقيلا غير ان من الخير لنا كلبنا ان يتبع بالاطعمة الخفيفة .
- ولكنك تعلم يا جورجى اني لا اقدم اليك في البيت الا اطعمة خفيفة .

- انريدن ان تقولى اني انا الذي افسد معدنى بالاطعمة التي اتناولها من الخارج ؟ هذا صحيح ولكنك كنت جديرا بان تحتلنى

حدوى لو انك تدوقت مرة الأطعمة الشهية التي يقدمها طهاة
السادي الرياضي ! انى اشعر بخمول اليوم .. احس هنا الماحداني
الجانب الايسر .. ولكنه ليس المصرا ان الامور ا اليس كذلك اولقد
شعرت بالهم بالامس في معدتي . نعم هنا بالهوى كم الساعة الآن
لماذا لا تكثرين من البرقوق المجفف على مائدة العطور ؟

- ولكنك نبيت ان تاكل البرقوق في آخر مرة قدمته اليك .
- الواقع انى لا اميل اليه . ولكن بشي ان اكل منه على اية
حال ! لم اقل لك انه .. بالامس كنت اقول لصريح جانشر ان على
المرء اذا ما تجاوز الأربعين ان يمتن بجهازه الهضمي وان ..
- اتنوى ان ادعو آل جانشر الى العشاء في الاسبوع المقبل ؟
- طبعا .

- اسمع باجورج .. ينبغي ان ترتدى في المادبة جاكته العشاء .
- ولم اجثم نفسى هذه المشقة مادام سوى ان يرتديها !
- بل سرتديها جميعا .. انبيت كيف كان موقفك خرجا
في مادبة ليتل فيلد حين ارتدى جميع الملعوين جاكته العشاء ولم
يظهر في ثيابه العادية احد سواك !

- لم يكن موقفى خرجا ! انهم جميعا يعرفون ان لدى من
المال ما يمكننى من شراء جاكته للعشاء ! ولكننى لا احب ان ارتديها
للعادى هذه المضايقه .. ولكنك طبعا امرأة وانى للمرأة ان تعلم
انه لا اشق على الرجل وهو يمتن نفسه بالعمل طيلة النهار من
ان يبدل ثوبه في المساء لكن يجلس مع جماعة من البلهاء والحقى
الفه ان يراهم في ثيابهم العادية !

ولكننى اعلم انك تفضل ارتداء جاكته العشاء . ومنذ ايام
شكرسى لانى الحمت عليك بارتدائها . وقلت انك تشعر واننت
تلبسها بارتفاع قدرك . ايرضك ان تنفك لوسيل ملا كيلفى
اذا راتك في ثيابك العادية ؟

- نيا لوسيل ماك كيلفى ! ان اهله من طبقة وضيفة منحلة
على الرغم من ان زوجها واباها من طبقة الملايين ! يظهر ياميزرى
انك تريدان ان تذكرينى انك تنحدرين من أسرة رفيعة .. ان
قدعيتى اذكرك ان جنك المحترم مستر هنرى لم يكن يرتدى
جاكته للعشاء . بل كان يسميها الجاكته القبيحة الشكل . ذات
الذيل الشبيه بدبول القروء ! . وكان يأمى ان يرتديها لطواعيه ..
وفي المرة الوحيدة التى استظم ان لبسوه فيها جاكته للعشاء
اضطروهم الى تخديره بالكوروفورم !

.. لا تكن سليلب اللسان باجورج .
 - انى لست سليلب اللسان . ولكنك أصبحت كابنتك فيرونا
 ولومة بانارة الجلبة .. لقد أصبحت لا تطلق منذ تخرجت من
 الجامعة انها لا تعرف ماذا تريد . اما انا فاعرف ماذا تريد .! انها
 تريد ان تتزوج رجلا من اصحاب الملايين وتقيم في اوربا وفي الوقت
 ذاته تقيم في امريكا وتصبح علما من اعلام الحياة الاجتماعية او
 رئيسة لمجموعة من الجمعيات الخيرية .! باللهى .! ليس في الاسرة
 شخص يعول عليه .! ان يد ايضا ليس خيرا منها .! يريد ان
 يذهب الى الجامعة .. ولا يريد ان يذهب الى الجامعة ..
 ولعل ليتكا هي الوحيدة التي تعرف ما تريد ليت تسهرى ..
 كيف رزقنى الله هؤلاء الاطعمال المتذبذبين المترددين ؟ .. انى
 طبعا لم افرا شكبير .. ولكنى اعرف كيف اتصرف في المسائل
 التي تعرض على .. ليتك تشاهدتنى وانا ادير عملى في المكتب ..
 وهل بلغت ما ترى آخر نزوة لهذا الطائش يد .! انه يريد ان
 يصبح معنلا سينماتيا .. مع انى اخبرته الف مرة انى سالفه
 اسرار عملى عندما تتخرج من الجامعة . ما هذا التباطؤ ..! لقد
 دلت الحادثة الجرس تدعونا الى الطعام منذ ثلاث دقائق . فما
 الداعي الى وفوفك ؟

- كنت اتعت الى حديثك .
 - وهل من الضروري ان تنصنى ؟ ومع ذلك هيا بنا .!

الفصل الثاني

- ١ -

كان مخدع بابيت وزوجته مؤنثا بأفخر الرياش . فقر صلو
 الفرمة يقوم فراش كبير تطواه الاعطية الزرقاء . وعنا قوائم
 سجادة زرقاء . وفي ركن من الغرفة منضدة التواليت وقد صفت
 فوقها ادوات الزينة والامشاط والفرش الفضية . وعلى مقربة
 من الفراش طاولة صغيرة منتظم الكتب وفولها . وعلى الطاولة
 الملاصقة للفرش كتاب لا يدري احد موضوعه او عنوانه لانه لم
 يفتح ولا مرة واحدة . ولم يقرأ فيه بابيت ولا زوجته سطر واحدا
 اما المراتب فكانت من الطراز العصري الشديد الصلابة .

وتشرف النوافذ على حديقة البيت . وتسلل فوقها سقف
 من القטיפات الغالية مزودة بأجهزة وحبال يجعل طيها او نشرها
 على غاية من السهولة .

وقصارى القول ان هذا المخدع يمكن ان يعتبر مثلا اعلى بين
المخادع وعيبة الوحيد انه لا يمت بصلة الى الزوجين .

فاذا كان الزوجان قد عاشا في هذا المخدع وتبادلا فيه الحب
او قرأ الروايات المثيرة في جوف الليل .. او تعاثا في تكاسل
واسترخاء في صبيحة ايام الاحاد - اذا كان قد وقع شيء من هذا
القبيل فليس في المخدع شيء يتم عليه .. انه شبيه بمخدع فاخر
في قدرته كبير . وبخيل الى الاسرار ان الخادمة لا تلبث ان تدخل
فتظلمه وهيئة لتزليين سيقضيان فيه الليل ثم يمضيان دون ان
يفكرا فيما مضى لحظة واحدة .

والعريب ان في كل بيت من بيوت « فلورال هايس » مخدع
شبه بهذا .

والبيت مثيد حديثا . منذ خمسة اعوام .. وكل غرفة من
غرفه تطالعك بنوع الاسلوب في التانيث مهيطة بالرياش الفاخرة
النفسية وبالاشارات الحديثة الطراز .. وبأحدث ما اخترعته
الاسواق من احمره واختراعات .. وحلت الاضاءة الكهربائية محل
الشموع والفاضل واختفت مدافئ الفحم وحلت محلها المدافئ
الكهربائية . وفي كل غرفة « باربرة » او اكثر لا يصل النيار
الكهربائي الى المكتبة . او الى المروحة الكهربائية . وفي قاعة الطعام
فلاحة كهربائية .

المعروض في البيت ان يكون مكانا يلقي فيه المرء ما يشد من
حنان وهدوء وسلام .. البيت مكان يصيب فيه المرء الراحة والهناء
بعد يوم يفضى في عمل مضى .

ولكن ميب منزل باييت انه لم يكن « بيتا » .. !

- ٢ -

كانت فيرونا في الثانية والعشرين من العمر تخرجت حديثا من
جامعه برنيمور وذهنها محشو بوساوس من الواجب والجنس
والدينر والعمتلى الرمادي الذي كانت ترتديه في ذلك الصباح .

اما تيد - اى تيودور روبرت باييت - ففي الساعة عشرة
من العمر ويشار بخيال خفيف .

ونسكا - اى كاترين - لازالت صبية في العاشرة يملوراسها
شعر احمر .

وعندما دخل باييت قاعة الطعام على اسرته كتم همومه وطوى

قلبه على غضبته إلا لم يكن يحب أن يظهر بمظهر الطاغية ولو أنه أحب لما استطاع . وما كان يحفظه إلا نثره لا معنى لها ولا أهمية . وعندما احتسى قدح القهوة اطمانت معدته وطابت وبددت همومه ولم يظهر أو يشكو شيئا . . ولكن فيرونا بدأت تنير فبطه وبهيج أعصاه فرجعت إليه شكوكه عن الحياة والأسرة والعمل .

منذ سنة شهر التحقت فيرونا بشركة جرونسبرج للجلود واشتغلت كاتبة وهي تطمح في أن تصبح في يوم من الأيام سكرتيرة لمسرة جرونسبرج . . وقال باييت محبدا :
- بهذه الطريقة تستطيعين أن تستلمي شهادتك التي حصلت عليها من الجامعة .

ولكن فيرونا بدأت الآن تحدده بقولها :
- ابي . . كنت أحدث مع صديق لي يعمل في مكتب إدارة الجمعية الخيرية . . ما أجمل الأطفال الذين يترددون على مراكز اللين هناك . . ويحيل إلي أنه ينبغي أن أساهم في هذا العمل النبيل . . وما معنى هذه المساعدة . . لا رقت سكرتيرة لمسرة جرونسبرج وكففت عن التردد على المراقص أمكنك أن تصيبي في الأسبوع أربعين دولارا . وهذا فيما اعتقد العمل النبيل الذي يجب أن نسي إليه .

- هذا صحيح . . ولكنني أتمنى أن أعمل في أحد مكاتب الجمعيات الخيرية . . ليتنى أستطيع أن استأجر بيتا أقدم فيه الطعام والفراش مجانا للفقراء . . أوليتنى . . فصاح مسرعا باييت قائلا :

- اسمي . . إن هذه الأفكار التي تردديها سخافات لا معنى لها . أنها بادرة من بوادر الاشتراكية . . إذا أبقى الإنسان أنه من يجد من الحمقى من يقدم إليه الطعام والمال والثياب فنقي أنه سيعرف كيف يجد لنفسه عملا وسيعرف كيف ينتج وينتج وينتج . .! إن البلاد في حاجة إلى الإنتاج لا إلى أولئك الذين يتأدون بعبادة جنوبية تعلم العامل الكسل والحمول وبث في أذهان الأطفال ما يرفهم فوق مستوى البيئة التي يعيشون فيها . وأولى بك أن تكرسي وقتك للعمل بدلا من التفكير في هذه السخافات .! عندما كنت شابا . ما هذا يا ميرا .! لماذا قطعتم التوست فطسا صغيرة لا تكاد تصسكها اليد .! وفصلا عن ذلك فهي باردة .! وكان بيد باييت في خلال حديث أبيه يحاول أن يتكلم فاعتنم الفرصة وقال : اسمي بارون . لقي نيتك أن . . .

فقاطعته فيرونا في حدة :

- بيد : .. لا قاططنا اذا رايتنا منهمكين في الحديث عن
المسائل الخطيرة . فقال بيد متهمكا :
- لم اخرجوك من الجامعة وانت لا تعلم الحديث مما يجب
وعما لا يجب .. اني نيتك ان .. اني في حاجة الى السيارة
الليلة

فقال باييت مزجرا :

- حقا ! اني انا نفسي قد احتاج اليها !

فقاطعته فيرونا بعولها :

- حقا ايها السيد المتأنق ! اني انا التي مساحتاج اليها

فأعوت بيد قائلة :

- ايى .. الم نعدى بان نذهب يى في السيارة الى روزديل ؟

وهكذا رمجروا جميعا وصحوا وصجوا . ولكن صوت فيرونا
علا على اصواتهم جميعا وهي تقول :

- بيد : انك ضعيف في طلبك السيارة !

فأجابها في مدوه :

- اما انت فلست سخيعة ! . مستخرجين بها مقب المشاه
وتركبتها طول الليل في انتظارك امام بيت ليس فيه الا نساء
صغيرات يصفين الى محاضراتك النافعة من الآداب والفنون وعن
أصحاب الملايين الذين مستزوجين بهم اذا وقع المستحيل وتقدموا
لخطوتك !

- يجب ان يمنعك ابي من ركوب السيارة انت واصدقائك من
السبة الأغرار الذين يقدون السيارات كالمجانين .

- انك تقولين هذا لانك تحافين السيارات الى درجة تجعلك
تربطين العرائل وانت ترتقى التل !

فألت في غضب :

- انا اربط العرائل وانا ارتقى التل ! هذا كذب ! وانت الذي
لا تفتا تتحدث الى اونيى ليتل فيلد من برامتك في الميكانيكيات
وتؤكد لها ان البطارية هي التي تغذى المولد الكهربائى بالكهرباء !
- انا ! انى واتق انك لا تستطيعين ان تفرقى بين المولد الكهربائى
وبين عجلة السيارة !

فصاح باييت قائلا :

- هذا يكفى اليوم !

وأشعل سيجارته الاولى وأخذ يتصفح جريدة ادفوكيت تايمز
وقال بيد مستلما :

- بصراحة يا دون انى كنت فى حاجة الى السيارة العتيقة -
ولكنى وعدت وانأ كاره بعض العتيات فى فصلى بان أذهب بهن الى
معهد القضاء ولا بد لى من البر بوعودى الاجتماعية .
- طريف جدا ! .. وعود اجتماعية وأنت لا تزال طالبا فى
المدرسة .

- انها أوفى مدرسه فى أمريكا .. ان فيها اثنين سيصبحان
من اصحاب الملايين بعد وفاة والديهما .. اسمع يا أبى .. انى أريد
أن تكون لى سيارة خاصة كالكثيرين من زملائى !
فكاد بايت ان يهب واخفا وقال :

- سيارة خاصة .. الا تريد بحثا ايضا وطائرة .. يا الهى .
توسب فى امتحان اللغة اللاتينية ومالئى ان ابتاع لك سيارة
خاصة .. ! اظنك تريد مكانة لك على ما تبدل من جهد فى الدوام
مع اوبس ليتل فيلد الى السينما .. اذا ظننت ان ...

وبعد معاضات دبلوماسية تم التهام بين فيرونا وتبد على
بإبدال السيارة فى تلك الليلة فيستعملها كل منهما شطرا من الوقت
ولم يشركا معها الاب فى هذا الاتفاق مع انه كان فى أشد الحاجة
الى السيارة لينجز إحدى صفاته .

ووقف تيد أمام المراه يطالع هيئته فى إعجاب شديد . ولا
عجب فى هذا وبدلته مفصلة على أحدث طراز وربطة عنقه أخضر
لوى استورده التحار من أوروبا . وغال مخاطبا فيرونا ولعبة منه فى
انتزاع ثيابها :

- أظن ان هذه الربطة قبحة الشكل ١٠٠
فصاح أبوه صاخبا :

- انها أقبح ما وقعت عليه عينى .. وإذا كنت معجبا بنفسك
فلعلم انه مما يريفك جمالا ان تزيل أللر البيض العالقة بشميتك .
وفهقت فيرونا ضاحكة وقد شمرت بالنصر العظيم الذى
أحرزته فى هذه الحرب الكبرى - حرب الاسرة .

ونظر اليها تيد فى يأس ثم استدار الى لينكا وصرخ فيها :
- بالله عليك لا تفرغى أثناء السكر كله فى قدح الشاي ..
ولما انصرف فيرونا وتبد ولينكا التفت بايت الى زوجته وزمجر
قائلا

- عال .. عاا انها اسرة بديمة .. ! صحيح انى فى بعض الاحيان
بدو فرسا جافا ولكن صدقيني اذا قلت لك انى لا أطيق سلوكهم
هذا - يخيل الى أحيانا ان الحل الوحيد هو ان أهرب الى مكان
أجد فيه السلاح والهدوء .. ابعد أن أرهقت نفسى بالعمل لأعلمهم

وأوجد لهم مكانا في الحياة لا يقع نصري عليهم إلا زانتهم بدمحورون
ويتشاحنون كالضباع ...

في هذه الصحيفة خبر من ... الم تقرأى الصحيفة بعد ...
- كلا يا حزري ...

وفي خلال الثلاث والعشرين سنة التي انقضت على رواجهم
لم تقرأ مسر بابيت الصحيفة قبل روجها الا سبعا وستين مرة .
- ان الدنيا ملأى بالاعلايات والثورات ... ثورة في الجنوب
.. وهياج في الوسط .. وقد أقر البرلمان الأمريكي طائفة من
القوانين تعد بصرا للاشتراكيين .. وفي نيويورك أصرب عملا
المساعد عن العمل وحل طلبة الحمامة مكانهم .. وبعد اجتماع
في برصحيام طالب فيه الحاضرون بامداد ذلك المبعج ديماليرا ...
صدقيني ان ألمانيا هي التي تعرض هؤلاء المهيجين وتزودهم بالمال
.. ومن سوء الحظ أننا لا نستطيع ان نتدخل .. وهناك اشاعة
في روسيا بان لينين قد مات . ليت نصري ما الذي يقعد حكومتنا
من اعلان الحرب على روسيا وطرد البلاشفة من هذه البلاد قبل
ان يفسدوها ...

فقال مسر بابيت مؤمنة :

- هذا واجب .

- وقد انتخب احد الوعاظ عمدة ... فما رايت في هذا ...

- هبه ... عال ...!

وحاول بابيت ان يبدى رايه في الامر ولكنه لم يجد - لا بصفته
جمهورية ولا بصفته من حماة الوعود ولا بصفته من سمارد المعارات
ولا بصفته من نصار الدين - ثم بعد شيئا يستند اليه في الطعن
على انتخاب الوعاظ عمدا . فائتمى بان رمجر ولم يقل شيئا ...
وشاركنه مسر بابيت زمجره على سبيل المجاملة .
ولما انقضى اليها بالصبيحة تصفحت قسم الاخبار الاجمالية
واعلايات المتاجر وقالت :

- ان شارلي ماك كيلمي لا يزال مستمرا على اقامة المسارب
والحملات

ساول منها روجها الصحيفة ونظر في القرة التي اشرب اليها
زوجها وقال

- طئر ما تقوله هذه الحررة المحرفة .

ويستحسن الخبر في ان مسر ومسر شارل ماك كيلمي اقاما
بالامس حفلة - اقصة تكريما لضيفتها من ضيكت من واشنجتون
وان القامة الكبرى غصت بالمعويين وان البيت كان شعله من الانوار
المتالقة ... الى آخره ... الى آخره ...

وتمجر بايت قائلا :

- ان شاول ماك كيلى رجل جسور . وعندما كنا في الجامعة
معا كان شديد الطموح . ولقد استطاع ان يبيع مليون دولار من
المقاولات . وكان شريفا في معاملاته فلم يشتر من ضم رجال الدولة
الا المهر الذي يكفى لشحني اعراسه . ومنزله جميل وان كان
لا يساوى التسمين الف دولار التي يرعم انه اعطى على تشييده
ولكن سعدتني ان ادعاء ماك كيلى وامثاله يجعلني اشعر وبمسك
نفسى فيظا . . !

وقالت مسر بايت في تودد :

- بودى ان ارى بينه من الداخل . . لا شك انه جميل . .

- لقد رايته انا من الداخل . ليس فيه شيء من الجمال . .
وما كنت لاذهب اليه لولا ان دعنى مقتنيات العمل . . ان نفسى
تمشى عندما استمع الى هؤلاء المدعين . . لقد كلر في وسمى ان
لويح اصاف ما رسوا لو انى اشتظت بالمقاولات . . ا هيه . . ما
رايك في هذا . . !

وسكتت مسر بايت ومضت تصفح الجريدة .

ونظر اليها بايت فحاة وقال :

- الا ترى انه بحرن منا ان تولق علاقتنا بأسرة ماك كيلى . .
انى افكر في ان ندعهم الى العشاء . . يا للحماقة . . من السخافة
ان نضيع وقتنا ، التحدث عنهم . . ان اسرنا خير منهم الف مرة
. . قانونى مثلا امرأة طيبة مثلك تلك المهومة لوسل ماك كيلى
. . مدعية . . مفرورة متبرجة . . انك كنز يا عزيزى . .

وستر ضعفه وحنائه بقوله

- لا تتركى نينكا تكثر من اكل الحلوى السامة . . باك عليك
اهتمى بما قليلة ولا تفسدى معدتها . . اظن اننى ساهود في الموعد
المعتاد .

وقبلها . . وان كان في الواقع لم يقبلها وانما لمس بشفتيه
الجامدين وحنيتها اللتين لا تتخفيان . لم اسرع الى الجراح وهو
يتنم قائلا :

- يا لها من اسرة . . الان سنتقم على صرا انى لا اصادقة
اصحاب الملايين . . يا الهى . . يا فى بعض الاحيان يخطر لى ان افنى
من البيت . . والمكتب لا يقل سودا عن المنزل . . وعلى الرغم من
ذلك اعمل واعمل . . واكبح واكبح . . لانى ثور قضى عليه بان لا
يستريح . . !

الفصل الثالث

- ١ -

ادارة محرك السيارة من اكبر المشاكل التي كان يعاينها جورج ف . بابيت في كل صباح . فسيارته فاجمه وغرام وبطولة ا في الايام الشديدة الباردة يتعذر عليه في الصباح ادارة المحرك الا بعد جهد شديد . وقد يضطر في بعض الاحيان الى ان يقطر الاثر في الساندرات نقطة فنقطه وهو يحب لهذا الاسرافه حبا .

وفي هذا الصباح كان يتوقع ان يجد في البارة مطبا يتفق وما عراه من تشاؤم وكمد ونقمة منذ استيقظ . وعندما نجح في ادارة المحرك وهم بان يسر افلقت القيادة من يده واحظا الحاسب فاصطدمت السيارة بجدران الجراج وانحشرت في الباب عند خروجها . ولما تراجع الى الحلف ليصلح من وقتها اصطدم بالجدار الخلفي . فازداد حنقه ولما مر بسام دوبلرو صاح فيه قائلا : « صباح الخير » ملهجة اكثر رقة مما كان ينوي

الى يسار منزل بابيت يقع بيت مستر صامويل دوبلرو سكرتير أحد مصانع ادوات الحمام . وهو منزل مجرد من النقوش والفن الهندسي الى درجة جعلت بابيت يعتبر مستر ومسز دوبلرو من الرماع . ومن منزلهما ترتفع اصوات الضحك وانعام الموسيقى حتى ساعة متأخرة من الليل . وتناثر الاشاعات بانهما يقسمان الى الضيوف خمرًا مهرة . وكان في ذلك ما اتاح لبابيت موصفا للحديث في كثير من السهرات . وكان لا يفتأ يقول في صراحة :
- لا خسر في ان يقدم الرجل الى ضيوفه الخمر المهرة مرة او مرتين اما ان يجعل ذلك عادة مستمرة فامر لا معنى له . . !

والى الجانب الايمن من منزل بابيت يقع بيت هواردنبل فيلد الحائر على درجة الدكتوراه في الفلسفة . ولينل فيلد يعتبر العلامة الاكبر بين الحيران . وهو حجة في كل شيء في العالم علما الاطفال والطبي والسيارات . وهو حائر ايضا على البكالوريوس في القانون من جامعة بلورجيد . والدكتوراه في الاقتصاديات من جامعة ييل ومهنة المدير العامل لشركة رينيت للنقل وفي مكانه في خلال عشر ساعات ان يعد بيانًا مدعما بالأرقام والتواهد والأمثلة التي وقعت في بولندا ونيوزيلندا وفي اى بلد من بلاد العالم . وينشر هذا البيان على الجمهور ليبرهن على ان شركة النقل تحب الشعب وانها تقيم غراما بموظفيها وان جميع الاسهم في احدى الارامل والايناج . وان مشروعات الشركة مستؤدى الى منفعة

الملاذ برفع قيم الإيجارات . وستؤدي في الوقت نفسه الى منقعة
الفقراء بخفض قيم الإيجارات . . .

على ان منقعة ليتل فيلد الكبرى انما ترجع الى مبادئه الروحية
والسياسية فهو على الرغم من اطلاعه الواسع من أشد أتباع
الكنيسة حماسة . . ومبادئه الجمهورية فوق الشك فشانه في ذلك
هناك جورج فـ . باييت . وكان من رأيه ان يحث رجال الأعمال على
الاستمسك بالدين . ويبرهن لهم على ان لا نجاح للصناعات إلا
بالدين مؤيدا ذلك بالأرقام وبالشواهد التاريخية والاقتصادية
والفلسفة . . بل حتى باعتراقات الرعماء الاشتراكيين المحدثين . .

وفي هذا الصباح كان هوارد ليتل فيلد منهما يتلفد حديثه
فاوقف باييت السيارة ووقف به .
- اسمعت صباحا . .

فخف اليه ليتل فيلد فقال له باييت وهو يشمل سيارته
الثاني في ذلك اليوم :

- الجو جميل .

فقال ليتل فيلد :

- نعم . . انه جميل جدا . .

- لقد بكر الريح .

- هذا صحيح . . اتنا الآن في الريح .

- ومع ذلك فالجو بارد في الليل . وقد اضطردت ان ادفن
بالباطنين في الليلة الماضية .

- نعم . لقد كانت الليلة الماضية قليلة الدفء .

- ولكن خبرني . . ما هو رأيك في المرشح الجمهوري .

فقال ليتل فيلد :

- اتنى اعتقد ان ما نحتاج اليه البلاد انما هو ادارة منظمة .

- يسرني ان اسمعك تقول هذا . . نعم . ان البلاد ليست في

حاجة الى عملاء للجامعات أو سفراء في الدول الأجنبية انما هي

الإنتاج . والآن وداعا يا حديقي فقد أرف مرعد العمل . والى

اللقاء في هذا المساء .

- ٢ -

لم يكن باييت برجل الأعمال الذي يدخل السيجار الضيق
ويقود السيارة ويحلق في موظفيه من خلال نظارته ويزمجر حين
يخفى ان ينتمى لهم . . لم يكن باييت هو ذلك الرجل . وانما كان

مثالا لرحل الاعمال الذي يحب مدينته حبا عميقا ويحبل في البيوت التي يمر بها نظرة حافلة بالمطف والحنان . وعندما مر بضاحية المدينة التي بدأت تمتد وتنشعب بيد حنقه وعادوه الجبل . ولما اوقف سيارته في محطة البنزين ليتزود كمية منها وحياء العامل بقوله : « طاب صباحك يا مستر بايت » تضاعف ابتهاجه وقال في نفسه : « ان العامل لا يزال يذكر اسمي .. لا ريب اني رجل عظيم ولست كأولئك النبان المهوسين الذين يهرولون بالمحطة صباح مساء ومع ذلك نسي اسمائهم في التو واللحظة ! »
و قال العامل يسأله :

— ما رايبك في المرشح الجمهوري يا مستر بايت . ؟
— اننا لا نزال في وقت مبكر . ولم اكون رأيا بعد . ولكني اعتقد ان البلاد في حاجة الى ادارة سليمة لتنظيم الاعمال .
— هذا صحيح .

— الادارة المنظمة هي كل شيء .. هي ما تحتاجه البلاد .
— هذا صحيح .

ولما انطلق بايت سيارته مر برجل ينتظر مربة الترولي فلما وقف السيارة وقال له : « احب ان اوسعك . » وقبل الرجل هذا العرض شاكرا وجلس الى جوار بايت فقال له هذا :
— عندما ارى رجلا ينتظر الترولي لا اتردد في ان ادعوه الى الركوب معي .. الا اذا كانت هبته لا تبعث على الاطمئنان .
فقال الرجل الذي انضم بهذه الترهة الحيرة :

— وددت لو كثر من يخون سياراتهم كما سخوت انت . !
— انها ليست مسألة سخاء .. كنت اقول لابني بالامس ان الواجب يقضي على الانسان بان يشارك معه جيرانه فيما انعم الله عليه به من خيرات .

وبطهر ان الرجل لم يجد تطبيقا على هذه الكلمات فلزم الصمت . فاضطر بايت ان يسخر قائلا :

— ان شركة القل شركة لا تحفل بالجمهور .. ما معنى ان يسير مركاتها كل سبع دقائق . ؟ الا تعلم ان البرد شديد وأن الانتظار طيلة هذه الدقائق تنجمد له اعضاء الانسان .. !
— هذا صحيح .. ان هذه الشركة تسمن بمصالح الجمهور .. ويجب ان تعاقب عقابا صارما .

— فمرع بايت ان لاحظ له في هذا الرأي نوعة اشتراكية فقال :

— ولكن علينا ان نذكر المصاعب التي تعانيها شركة القل من

لدخل البلدة ومن مطالب العمال المرحقة .. انها لجريمة ان يطالب
العمال برفع اجورهم . والصبه لن يقع الا على عليك حين نضطر
الى ان ندفع اجرة قدرها سبعة شللات .. ! والحق يقال ان
خدمة هذه الشركة جديرة بالشناء

فقال صاحبه في تردد :

- حقا ..

ولزم العمت .. وكذلك لزم بايت العمت اذ لم يجد في
جليسه شيئا من حضور الدية أو حدة الدكاء . وكرس وقته
لساقفة مركبات الترولى التى يمر بها وتجاوزها أو المروق بين
البارات التى تسير في بطنه

وقى طريقه كان شديد الإعجاب بكل حي يمر به . وكلما اخلت
عينه حيا حديدا بنشط ويمتد فانس السرور بنفسه لعلمه بان
تمو المدينة يؤدى الى اتساع حركة البيع والشراء فى الاراضى
والمعارات . وبالتالي يؤدى الى ازدياد ربحه .. !

وعندما انزل جليسه فى المكان الذى يريد تنهد فى ارتياح وقال :

- اتى اشهر بانى سعيد اليوم .

- ٣ -

لم تكن ادارة محرك السيارة هى المشكلة الوحيدة التى يعانىها
بايت فى صباح كل يوم . وانما كانت المشكلة الثانية أيقافها
والعنور على ركن يتسع لها أمام مكتبه .

كانت هناك لوحة تنص للسيارة مقعد البها بايت ..
ولكن قبل ان يلعبها احتلتها سيارة أخرى . فاستولى عليه الضمير
وبحث عن مكان آخر . وارسل صوت البوق فى عنف شديد لئنه
امراة همت بان تعبر الطريق واخيرا عثر على غايته المنشودة . ولما
هم بان يتراجع كاد يعطدم بمركبة نقل صغيرة . وبعد مناورات
مرهقة .. وتقدم وتأخر .. وانحراف الى اليمين ثم الى اليسار
.. استطاع ان يحشر السيارة فى المكان الضيق الخالى .

وبقع مكتب بايت فى الطابق الاول من عمارة ريفز التى تعد
من اجمل الممارات فى مدينه زينيت . وكان فى وسع بايت ان
يدخل مكتبه من الباب العمومى . ولكنه اثر ان يدخل من الباب
الخلفى . اذ ما دخل مرة من الباب الامامى الا شعر بانه غريب من
المكان وبانه ليس صاحبه حتى لقد كان يخيل اليه فى بعض الاحيان
ان موظفيه سيبادرونه بالسؤال : ماذا تريد .. !

- ٢١ -

ولا دخل مكتبه سمع أحد موظفيه - مستأظف جراف - يتحدث في التليفون قائلاً :

- اظن امي عثرت على المنزل الذي يلائمك .. فيلا برسيدال في لتون هل رايتها .. ؟ ما رايت فيها اذن .. ؟ آه .. فهمت ..

ومعهما بايت ينطق بهذه الجملة الأخيرة في ياس واسى فاده أنه لم يشر حتى اليوم على موظف يؤمن مثله بأنه مسينجج وأنه مسيقف الصفة فان هذا الايمان - كما يقول بايت - هو أساس النجاح .

وأجال بايت في مكتبه نظرة تنطوي على الامجباب .. كان مصعبا بالثناعد والمكاتب والنوافل والجدران والسجاجيد .. وكان مصعبا بنفسه ايضا

وفي هذه اللحظة داخله شعور الخمول . وود لو استطاع ان يهرب من المكتب وان يقضى يومه بتحول في الغابات ويفزع كالاطفال .. ولمضى لو رار جاتس في تلك الليلة ليلعب القمار ويشرب مائة الف قدح من البيرة نعم .. مائة الف قدح . فقصه كان يحس وهو في غرفة جلده ان معدته يمكن ان تتسع لهذا العدد .

وتنهذ وصاح يقول : « مسججون » وكان يقصد بذلك سكرتيره مس مالك جاون .. فلما خعت اليه املى عليها الخطاب التالي : -

« اومار جريل .. ارسليه الى مكتبه يا مس مالك جاون .. خطابك بتاريخ التاسع عشر .. الجارى طبعاً .. وصل . ورداً عليه اقول . اسمع يا جريل .. هذا التذليل والتردد سيؤدي الى اضاعه صفقة ان . لقد بحثت هذا الموضوع بحثاً دقيقاً مستفيضاً واستطيع ان اؤكد لك ان .. » ولكن لا .. غيرى هذا كله يا مس مالك جاون .. اكتبى بدلا منه « ان تجارى تدلى على انه شخص يمكن الوثوق به .. انه يريد ان ينجز الصفقة حقيقة » لا تظن انى فعلت من دراسة تاريخه وعلاقاته المالية .. انها على ما يرام » .. اظن ان هذه الجملة يا مس مالك جاون سخيقة .. على اية حال يمكنك ان تغيرى فيها قليلا .. سطر جديد .

« نعم .. انه على استعداد لعقد الصفقة .. ومن المؤكد انه .. » « انا واثق من انه .. من اننا نستطيع ان نحمله على دفع مبلغ من المال لحساب شركة التأمين . قبالة عليك اعتم بالمسألة ولا تعرقها فانك احقق انسان واثبه » .. طبعاً لا تقولى احقاً

الأسنان . فهذه الجملة لا ضرورة لها . والآن يا صبي جاون يمكنك أن تربط هذه الجملة بطريقة منظمة . وفي الحتام المحضر فلان إلى آخره . . . وقولني له أيضا أن لا داعي للتردد . . . وبعد بضع دقائق رجعت إليه مس مالك جاون وقدمت إليه الخطاب مكتوما على الآلة الكاتبة نصه كالآتي : -

« عزيزي مستر جريل .
« روا على خطابك المؤرخ ١٩ الجاري أخشى أن يكون في هذا التردد ما يضع صفقة إلى . لقد بحثت الموضوع بحثا دقيقا مستظيفا وحررتي توحى إلى بأنه راغب في اتخاذ الصفقة . وقلا فوست مركزه المالي قلم أجده فيه مأخذا .
« واتى لاشعر شمورا فويا بان في وسعنا أن نحمله على دفع مبلغ من المال لحساب شركة التأمين .
« فها إلى العمل . . وفي غير تردد

« المخلص »

وذبل بايت الخطاب بأصفائه وهو يقول في نفسه :
- خطاب واضح وقوي . ولكن ما هذا . . ؟ أني لم اقل لمي مالك جاون أن تبدأ مقرة نالسة في سطر جديد . . ؟ يا الهي . . ! وددت لو أنها كفت من تحيين املائي . . ! من قال لها أن تفر في خطائي . . !

ثم نهده وقال :

- ومع ذلك فالخطاب قوي واضح .
وبعد ذلك دها إليه سكرتيره وأملى عليها نشرة دورية كان في قبته أن يرسلها إلى ألف شخص يفرهم فيها بشراء البيوت وقد يهاها بقوله :

- صديقي العزيز . . اتنا نريد أن نخدمك ونريد أن تقدم إليك البيت الذي تصبو إليه نفسك . . مهمتنا أن نسدي هذه الخدمات إلى الناس مقابل المسرة التي سننالها منهم عندما يرضيهم هملنا . . اليس مؤلما أن تظل تدفع الإيجار شهرا بعد شهر وعاما بعد عام ! . ألم تفكر يوما في أن تبتاع بيتا ؟ . هشا جميللا تستمتع فيه بمرامك وينشا فيه أطفالك . . أننا على استعداد الآن . . إلى آخره . .

وفي أثناء املائه هذا الخطاب جعل ينظر إلى مس مالك جاون .
لم ير فيها من قل الا السكرتيرة الباردة الاحتزال والبارعة في اصلاح . . لئنه وتميراتة في كتابة الرسائل . اما الآن وللمرة الاولى . . فقد تبين أن لها شعرا أسود وأن لها وجبات متضرجة .

وجعل يقارن بينها وبين فتاة أحلامه . وخيل اليه سعة ألبانها نظرت اليه وأنها أدركت ما يجول في خاطره ففرغ . . وذكر ما قاله صاحبه جاك أوفات :

— لا يقارن في المكتب أو في المنزل تنقل نفسك من المناصب .
ولكن . . في خلال الثلاث والعشرين سنة من حياته الزوجية أخذت عينه وجوها جميلة وسيفاتا فائنة وظهرات مستهوى العقول ولكنه مع ذلك لم يفكر يوما في أن يقارن أو يقارن .
وانتقل بخاطره فجأة الى موضوع آخر . . جعل يفكر في ضرورة تغطية حفران بيته بالورق الملون على الطراز الحديث .
وعمل حسابا للتغطيات المنتظرة فساووه غشامتها وفقد جلده تدريجيا وانقلب فحاة كارها لكل ما حوله حائقا على جميع الناس هذا فتاة أحلامه إذ كان في هذه اللحظة شديد التألف الى مقابلتها والجلوس اليها .

الفصل الرابع

- ١ -

بعد ربع ساعة دخل عليه ستر كربي ليلوك مندوب الشركة في جنين اوريلون لينتهي اليه امر صفقة جديدة ويقترح ان يملك الشركة الر اذاعة الاعلانات على طريقه حديثة . وكان بايت يمسك ليلوك ويصمت منه بسوع خاص ولما بالغناء وبمقابلة العنيات . . كان بايت يعتقد ان في اقدام الرجل على الفناء خسوف لا طبق بكرامة الرجلولة . واستهل ليلوك حديثه بقوله .

— ما رأيك يا مستر بايت في القصيدة التي نظمها اعلاننا عن البيوت في جنين . ؟ ألم تسمعها . ؟
واخذ يلوحها عليه وهو يمرط ففرائها . فقال بايت :

— الحق اني لا احب الشعر واكره الثمراء . اني احب الاستعانة بالامارات القوية لا بالمقطوعات الشعرية المحنثة . . قل مثلا « اننا دائما في الطبيعة وغربنا في المرحرة . . » او قل مثلا « لماذا فلم لا يكون اليوم . . ؟ » ان الشعر يا عزيزي لا يمكن ان يؤدي الى بيع العقارات . . !

- ٢ -

لم يكذ ليلوك بفادر المكتب حتى استدعى بايتة مسامحة صتاقي جراف وقال له :

— اني اكره ان اسمع الى صوت الدعى المخروخ ليلوك . . جاء

الى السخيف يقتوح على ان احث الناس بالتصالح الشعيرة على
شراء المقابر ؟ ولكن استمع الى ما كتبه انا
وذلك ان باييت كتب اعلانا على اثر خروج ليلوك يمكن ان يمد
قصيدة شعيرة وان كان يتقمعه الوزن والقافية .. !
وهذا نصي الاعلان :-

« اتحترم ذكرى الذين احببتهم .. »
« عندما توسد احساك الثرى .. وعندما ينطوى القبر على
الاعزاء الراحلين .. الا تسائل نفسك عما اذا كنت قد احترمت
ذكراهم ؟ هل ارفقتهم في مقبرة حقيرة او في مقبرة جميلة ؟ »
« مقبرة لينتون لين »

« هي اجمل المقابر في زينت .. فيها حدائق غناء وقبور
جميلة من الرحام .. وعلى مقربة منها يجري غدير من الماء له
خبرير شبيه بانغام الموسيقى .. فاذا كنت حريصا على ذكرى
لعزائك واحبايك فلا تدنهم الا في هذه المقبرة » .

الوكلاء الوحيدون مساهرة المقابر باييت وتومسون « عمارة ريفر »

ولما قرأ باييت هذا الاعلان على مساعده مسائلي فرك كفه
صرورا وقال :-
« هذا اعلان يا جراف سينعلم منه اصحاب مقبرة وايلد وود
كيف يكون الاعلان عن المقابر على الطريقة الحديثة .. !

- ٣ -

كان من عادة باييت انه يطلع من التدخين مرة واحدة من
الاقبل في كل شهر . فيقدم على هذا العمل في شجاعة مقطوعة
النظم وبروح يتحدث عن مساوئ التدخين ويمقد العرم في جراحة
وجساسة على الكمعنه . ويتنكر الحطط المؤدية الى هذا الافلاج .
يربحم طويلا بما سوف يظفر به من تورد الوجنتين . وينفض الى
كل من يقابله بما فقد عليه الزم . وجملته القول : يفعل كل شيء
هذا الكف عن التدخين . !

منذ شهرين وضع جدولا ضمنه المواعيد التي اعتاد ان يدخن
لليها بالدقيقة والثانية . واخذ يزيد على التفرج الفترات بين كل
ضججار والسيجار التالي له حتى انتهى به الامر اخيرا الى
الاكتفاء بثلاث سيجائر في اليوم .

لم ضاع منه الحدودول . . ١

ومنذ أسبوع ابتكر طريقة جديدة ينسى بها طلبة سجاثره في درج غير مستعمل في الكتب الخارجى وهو يقول في نفسه :

- ساندو سخيا اذا تركت مكتبى ومضيت الى الغرفة الخارجية لاتي عليه السجاثر اذ سيمضى الموظفون بالحفاقة والسحابة . فيكون في هذا ما يحملى على الافلاخ عن التدخين . ولكنه في هذا الصراح تبين ان ليس اهون عليه من ان يعرض الى المكس الخارجى بين كل فترة واخرى لاتي باحدى السجاثر ! ولم يعد يرمعه ان يرميه الموظفون بالحفاقة والسحابة . . !

ثم ابتكر طريقة اخرى وهي ان يلقى الدرج بالفتح ثم ينسى المفتاح في الدار . . وكانت النتيجة ان انتاع طلبة سجاثر جديدة .

ثم حرم على نفسه ان يودع حبيه طلبة الكبريت فاذا ما هفتا نفسه الى التدخين اتى بمود واحد من الكبريت من الدرج الخارجى . حتى اذا انطفأ السجائر الصخم أثناء التدخين خجل ان يخرج مرة اخرى وهو المدبر المرهوب الجانب لياتى بمود من الكبريت ولكن السجائر انطفا بعد ان اخذ منه نفسا او نفسين فلم يدركه الحجل حين ذهب لياتى بمود بعد مود بعد مود . .

وكان اذا حضر احد العملاء قدم اليه سيجارا وقدم اليه نفسه سيجارا فاذا نكته ضميره رد عليه بقوله :

- اتى منهمك الارقى العمل . ولا بد لى من التدخين . فاصبر حتى يخرج هذا المصبل .

واذا ما خرج المصبل نكسر من اطفاء السيجارة بحجة ان الاطفاء بعد طرفها وفي هذا مضيقه للمال . . متناسيا ان فى تدخينها مضيقه للصحة .

ودق جرس التبليغ فاذا مخاطبه هو صديقه بول ريزليج . وكان بايت يحب ريزليج اكثر من اى شخص في العالم . طبعاً بعد نفسه وبعد انته تينكا . كانا صديقين أثناء الدراسة . وبينهما اتفاق في المنارب والاهواء . وبعد التخرج التحق بول بمصانع ايه التى تنتج نوعاً معيناً من الورق تغطى به السقوف لتحول دون تسرب مياه الأمطار . ولم يرض بايت لصاحبه هذا العمل اذ كان يعتقد ان بول يمكن ان يكون من رجال الفنون والآداب . وكما جاءت مناسبة قال بايت :

- ان رسائله التى وصف فيها رحلته الى كندا تعد انموذجاً رائعاً من ابلغ نماذج الادب .

ولكن لما تم الاتصال التليفوني دار الحديث بينهما بلغة يمكن
ان تعد امودجا رائعا من ابلع نماذج اللغة الصامية المركبة .
واحسن الحديث بالعامهما على تناول الفداء معا في النادي .

- ٤ -

امضى نايبت صباح يومه بصغر الاوامر والتعليمات الى موظفيه
في لهجه عممية والفاظ خشنة في بعض الاحيان ولا عجب في هذا
وقد استعمل طائفة من الكثة جاءوا بطلون مسكنا مؤثنا ومؤلفا
من خمس غرف بستين دولارا في الشهر . ! وكان آخر امر اصدره
نايبت موحيا الى مساعده مات ينمان بحثه فيه على ان يجمع المال
من سكان لا مال لديهم

ولعل اكبر فضيلة لجورج فـ . نايبت استنعامته ونزاهته .
فهو يفتح عملاءه دائما بان لا يسرفوا في رفع الانمار او في تخصيصها
بل يشير عليهم بان يتحروا ما يتفق وسمر السوق . ولكن اذا
جاءه عميل احمق واراد ان يدفع ثمننا غالبا فانه لن نتردد في
اوضائه وقبول هذا الثمن مهما طلع من ارتفاعه . فما دام المي
يريد ان يضر امواله فليس من مهمة نايبت ان يجمع هذه الاموال
ويعيدھا الى جيبه . !

ولنايب اسلوب طلي في الحوار يستطيع معه ان يقع اشد
عملائه ثمننا وله فضلا من هذا قدرة على « التنو » الا يستطيع
ان يثنا بما يرجى للمدينة من نمو وفي اي النواحي سيكون هذا
النمو . وله في ذلك قول مأثور :

- اذا كان من واجب الحراج ان يعرف كل شريان وكل خلية
في الجسم الانساني فان من واجب السمسار الذي يحب عمله ان
يعرف كل شيء من مدينته .

ولقد سمع مرة ان سجر المدينة في حاجة الى الإصلاح وان
الطرق الملمة غير متبعة فيه . واطلع مدفة على تقرير للمحامي
الاشتراكي سينيكادون يؤكد فيه ان من الخطر الفناء العلشان
والفتيات الصغيرات في سجن واحد مع المجرمين المتفهمين في السن
والمصابين بشتى الامراض والادواء . وانه ينبغي عزلهم وتعليمهم .
فكان تعليق نايبت على هذا التقرير منحصرا في قوله :

- اني لاضيق ذوعا هؤلاء السحفاء الذين يطالبون بحصول
السجون اشبه بالفنادق العظيمة . فاذا كان في الناس من لا يحجبه
السجن فليحسن سمره حتى لا يدخل السجن . !

وكان هذا التقرير آخر عهد بالاممال الغيرة في مدينة زينة
اذ اقلع من الاهتمام بها منذ هذه اللحظة
اما آراؤه في الحالة الصناعية فيمكن ان تلخص على الوجه
الآتي :

- العائلة الوحيدة لتقنيات المعامل المنظمة هي انها تقضي على
النزوات الاشتراكية والتي قد ثبت في بعض الادسفة . وبها أيضا
قضاء على التقنيات الاشتراكية التي تمرقل حق التملك ومفسده .
وان كنت أدري في الواقع ان لا معنى مطلقا لقيام التقنيات . وعلى
رجال الاعمال ان ينضموا الى الغرف التجارية لمقاومة اثر التقنيات .
والممول الذي يأتي الانضمام الى الغرف التجارية يجب ان يرغم
على ذلك أو يثنى .

اما الرجل الذي توكل اليه الاسر احتيازا بيوتها فلا يهم شيئاً
في الشروط الصحية ولا يستطيع ان يعرق بين ناعوضه الملازما وبين
الوطواط ولا يعرف شيئاً عى التجارب التي تجري لاختيار صلاحية
الماء للشرب .

وعندما اتنا بابيت ضاحجة اوربول ودعا الناس الى الائمة
فيها استطاع لأول مرة في حياته ان يتحدث عن الشروط الصحية
دور ان يهم شيئاً في هذه الشروط . ولقد قال الناس ان شركة
بابيت وتومسون وكلاء عن جاك اوفات صاحب الضاحجة . ولكن
الواقع ان الشركة كانت تملك اثنين وستين في المائة من الاسهم .
وان شركة النقل العامة تملك ثمانية وعشرين في المائة . والباقي
وقدره عشرة في المائة من الاسهم يملكه جاك اوفات .

وجاك اوفات سياسي تحميه المعصانات ليس له ذمة أو
ضمير ، وله في ادارة دفة السياسة طريقة تدل على حراب الدمه .
وهو فضلا عن ذلك معروف بنعمه الفشي في القمار . ولكن بابيت
وشركة النقل جمعوا له عشر الاسهم للاستعانة به على التخلص
من مضايقات المفتشين الصحيين ويدخل اعضاء المجلس البلدى .

ولكن بابيت على الرغم من هذا رجل فاضل يدافع عن تحريم
الخمور وان كان يحنسها ويحبك قوانين تحديد سرعة السيارات
وان كان لا يتنا يخرج عليها في كل يوم . ويجب ان لا ننسى انه لا
يعاقل في دفع ديونه وان كان في بعض الاحيان يستدين من هلسا
ليوف ذلك . كما ان من مادته ان يتبرع للكنيسة ولجمعية الصليب
الاحمر ولجمعية الشبان المسيحيين . ولم يكن يلجأ الى الفش
والخداع الا نزولا على حكم المهنة . وكان في بعض الاحيان يشرح
هجة نظره ليول ريزلنج بقوله :

— ان اعلاناي بطبيعة الحال لا تمثل الواقع حرقا . ولكن صاحب المقار هو السبب في هذا . فهو الذي يبالم ويزعم ان عقاره اجمل واحسن ما في الدنيا . فهل من واجبي ان اثبت له انه كذاب . ؟ وفضلا من هذا فالتاس جميعا مطبوعون على الكلب والمبالغة ولا يضرهم ان يكلب المرء قليلا . فمن الخشافة ان اتحرى الصدق في عالم هذا شأنه . ؟ هذا الى ان مركزي شيه يركز المحامي الذي يطلب البراءة للقاتل وهو يرى بدينه ملوثتين بدماء القتيل . ولو انه طلب شقه لابه القاضي وان كان الانسان طلي بقين من انه قاتل . ولكني مع هذا رحل شريف . فاني لا اسرف في الكذب كما يفعل سسبيل راوتري او فايير او باقي السامرة .



كونراد ليت مضارب معروف يتاحر في الاراضي والمقاربات ولكنه عصي الزواج دائم الخوف . ومن عادته قل ان يقدم على احدى الصفقات ان يستشير اصحاب البنوك والمحامين والمهندسين والمفاولين والسامرة وجميع من لديهم من كنة او كائنات وكل من يرضى بان يسديه النصح

وقد الف دائما ان يستعين بابيت ويستشير بشورته . ومنذ ستة شهور اتصل بابيت ان بدلا يدهى اركبولد بوردي عزم على تكبير متجره في لتون وانشاء محل جزارة الى جواره . فتحري بابيت من الامر وعرف ان بوردي لا يملك البناء المجاور لمتجره والذي يمكن ان ينشئ فيه المتجر الحديد . فاسرع الى كونراد ليت ونصحه بشراء البناء وصح ما توفقه بابيت اذ جاء اليه البدال يشتد شراء هذا البناء .

واستقبل بابيت البدال مرحبا ونمته بالاخ المخلص وقدم اليه سجارا ضخما وود لو استطاع ان يقدم اليه سجارين في وقت واحد ثم قدمه الى كونراد ليت صاحب البناء اذ حضر هذا طبقا للموعد المضروب

واستهل بابيت حديثه بقوله :

— انك تعلم ايها الاخ بوردي ان بعض القضاين اتصلوا بي في شراء هذا المتجر ، ولكني ابيت عليهم ذلك وقلت في نفسي ان الاخ بوردي الاولوية . فانهم ان حلوا الى حواره وانشأوا محلا للبدالة فضلا عن الجزارة قضاوا على متجر الاخ بوردي . ولما كنت احبك ايها الاخ بوردي ولك عندي مكانة عظيمة . .

وهذا مع ملاحظة أنه لم يقابل الأخ بوردي إلا في هذه المرة .
وبعد مفاوضات دبلوماسية طويلة تظاهر بايت في حلالها نارة
بمحاولة حمص الثمن الذي يصره بوردي وثلة بمحاولته حمص
الثمن الذي يطلبه كورادليت تم الاتفاق على عقد الصفقة بمبلغ
واحد وعشرين ألف دولار ومد بايت يده في المدرج وأخرج عفلا
محررا بهذا الثمن نفسه منذ أسبوع . فذيلة الأخ بوردي بتوقيعه
وعلى اثر التوقيع اكتمى بلن يدعوو مستر بوردي .

وبذلك تمت الصفقة العظيمة : خرج منها كورادليت بربح
صاف قدره تسعة آلاف دولار . وخرج منها بايت بسمره قدرها
أربعمائة وخمسون دولارا . وخرج منها بوردي بالتاجر الذي يتلفه
اليه والذي سيملكه من ان يقدم اللحوم الى اهل لتون دون ان
يتكبدوا مشقة في الذهاب الى المدينة لايتباع حاجتهم .

وبذلك سمع ليت . . وسعد بوردي . . وسعد اهل لتون .
ولم يكن غير سعيد الا بايت .
جعل يقول في نفسه :

اكاد اموت لحما منكما افكر في ان ليت هو الذي ظفر بالربح
كله مع اني انا الذي قمت بالعمل . . حقيقة هو الذي اشتري
البناء بأمواله ولكني انا الذي نصحتته بالشراء . . ليس في هذه
للدنيا شيء من الإنصاف
وغادر المكتب حائقا . .

الفصل الخامس

- 1 -

عندما بهم بايت بمغامرة مكتبه يتخذ من الاستعدادات مالا
يقبل عن الاستعدادات التي تتخذها الدول الكبرى عند اعلان
الحرب .

هو يسأل من مارك حاور في انعمال عن الوقت الذي ستذهب
فيه الى تناول الغداء . ثم يوصيها بأن تتأكد من ان منى بابيجان
ستحل محلها اثناء غيبتها . . ونهى عليها بان تذكر لويدي قبلت
اذا ما سأل منى تليوني اني احدثت الى العنوان . . وعلى فكرة
ذكروني غدا بان اتيه على بنيمان بالبحث عن هذا العنوان . . واذا
اراد احد ان يتتبع منزلا رخيصا فاعرضي عليه البيت الواقع في
شارع بانجور . . واذا احتجت الى فاقصلي بي في النادي الرياضي

والا .. وعلى فكرة ساعود بعد ساعة أو ساعة ونصف على الأكثر
واكتشف فجأة عند خروجه انه اشعل سيجاراً جديداً . فرماه
في عرض الطريق قائلاً :

- تبالى ! .. يجب ان اقلع عن التدخين .. يجب ان اعنى
بصحتى .. ان المتنى بعيدى فلم لا امضى الى النادى طهر كل يوم
بدلاً من ركوب السيارة ! .. ان ركوبها باستمرار كعيل بان يجعلنى
أصاب بتصلب الشرايين .

ونظر الى سيارته وهى واقفة فى انتظاره عند الباب وهم بان
يمضى ولكنه رجع عن رأيه وقرر انه سيمضى ابتداء من المد اذ
تأخر اليوم قليلاً من موعد الغداء .
ولكن الوقت الذى استغرقه فى ادارة المحرك واخراج السيارة
من مكانها المحشور الضيق كان اكبر من الوقت الذى يستغرقه
لو انه ذهب الى النادى سراً على الأقدام .

- ٢ -

فى الطريق الى النادى جعل بايت ينقل بصره بين ثسنى
الحواشى والأبيرة التى يمر بها . وكلما رأى متجراً يبيع ، أو لوحة
تعلن عن خلو أحد المساكن اشتد جهله وابتهاجه الى هذا ما
يجتر بعمل كثير لشركته .
ولما مر بمخازن السجائر المتحدة هم بان يوقف سيارته وهو
يقول فى نفسه :

- اظننى فى حاجة الى كمية من السجائر ! .. ولكن اسيت
أبها الفنى انك اقلعت عن التدخين .. !
ثم انتقل بخواطره الى الصفحة التى عمدها فى ذلك الصباح
فقال فى نفسه :

- اربعمائة وخمسون دولاراً .. مبلغ عظيم . ولكن موعد
دفع الضريبة قد حل .. يجب ان اربح فى هذا العام لمأبىه الاعم
دولاراً على الأقل او فربنها الف وخمسمائة دولار . فى الشهر الماضى
ربحت ٦٤٠ دولار ، فاداً صربنا ٦٤٠ فى ١٢ شهراً كان الناتج ..
أسهل من ذلك ان تضرب ١٠ فى ٦٤٠ يكون الناتج ٦٤٠٠ نصف
التيها .. أى تضرب ٢ فى ٦٤٠ يكون الناتج .. اوه .. تعالى ..
المهم انه يجب ان اربح ثمانية آلاف دولار .. دخل
عظيم لا يحصل عليه كثرون .. انى أستطيع ان اراهم ان ليس
فى الولايات المتحدة كلها من يربح أكثر منى إلا خمسة فى المائة من

الأحالي .. انى فى القمة ! .. ولكن .. ولكن ما أكثر النفقات ..
 الأسره معمره بركوب السياره واستهلاك البنزين .. ويريدون
 من الثياب ما يجعلهم يشبهون بأصحاب الملايين .. والثمانون
 دولارا التى أرسلها الى أمى فى كل شهر .. والكاتب على التايبيرينتر
 ومسى ملك جان .. وستائلى جراف .. وستائر الموظفين .. كل
 هؤلاء يسلبونى الربح الذى أحصل عليه بشق الأنفس .

وكانت نتيجة هذه الميزانيه الطميه انه شعر فى بدايتها بأنه
 أغنى الناس . وشعر فى نهايتها بأنه أفقر الناس ..
 وفى عمره هذا البحث الفنى أوقف السياره وأسرع الى حانوت
 ابتاع منه جهازا كهربائيا يثبت فى السياره لأشغال السجائر .
 لينفذ نفسه من شغفه إيقاع السياره كلما أراد ان يشمل سيجارة
 وجمل يتأمل الجهاز وقد ثبت امامه الى جوار عجلة القيادة
 مصجبا مزهوا وهو يقول فى نفسه :

- ان السياره التى ينقصها هذا الجهاز لا يمكن ان تعد
 سياره .. حقيقة ان فى نيتى ان أطلع عن التدخين . ولكن عملاى
 يستطيعون الانتعاج بها .. وفصلا عن هذا فوجوده فى سيارتى
 يظهرى بمظهر الاعياء .. ماذا .. هل اكون الشخص الوحيد
 فى الأسره الذى يحرم نفسه من كل شئ ؟

- ٢ -

لم يكن النادى الرياضى لا ناديا ولا رياضيا . وانما كان مجمعا
 يختلف اليه نعر من الناس فيكون كل ما يتساقى مع القواعد
 الرياضية اذ يسرفون فى التدخين والاكل والارتقاء على المقاعد فى
 لكاسل وتراج . ولم يكن يتردد على قاعة الألعاب الرياضية الا
 أقل من عشر الاعضاء ، وبعضهم يمارسونها بقصد تخفيف اندائهم
 وإزالة كروشهم . فاذا ما انتهوا من التمرين استقلوا الى قاعة
 الطعام واصابوا ففرا يردهم الى السعة ويبعد اليهم كروشهم .

وهو ليس ناديا اذ بعض مئآت ليسوا اعضاء فيه . يحضرون
 لمقابلة الاعضاء ولتناول الطعام ولعب الورق وسرد الحكايات
 وعقد الصفقات التجارية .

وعندما دخل نايت الى النادى القى بالتحية الى نفر من
 اصحابه . ولكن وجهه لم يشرق الا عندما رأى فيرجيل جانس
 الذى دعاه فى الليلة الماضية الى داره حيث لعبا العمار وشربا البيرة

وقال جانش يحيه :
كيف حالك ايها النومي .. كيف أصبحت بعد الليلة
الخاصة .. ؟

- صداع شديد ...
- هذا لأنك أنعمت بأن تحسني عشرين قدحا من البيرة .
- اسمع .. لقد اشتريت مشعلا كهربائيا للسجائر فمما
ربك .. بحمسة دولارات .

فاخذ الحاصرون يمدحون شراءه المشعل الكهربائي . والقي
مينكل ستاين محاضره طويلة خلاصتها ان الثمن وان كان مرتعسا
الا به كليل يحصل الانسان على اجود ما في السوق . ولم يرق
هذه المحاضرة لبايت الا كان مصاها الصريح انه غبن في الثمن الذي
دفعه .

ولكن فريجيل جانش طيب خاطره بقوله .. انه ما من وجيه
في رينيت الا وفي سيارته مشعل كهربائي . وكان ينبغي ان يشرى
بايت هذا المشعل منذ شهر . بل منذ سنوات .

وطاب بايت فمما بهذا القول وعد بمعه من الوجهاء .
ولما اشرق وجه بايت ابلغه جانش بموله .
- لا تحسني صادقا اذ اقول لك أنك من الوجهاء ! .

ورد بايت على هذا المزاج بزمجرة مصحوبة بضحكة . ولم
يتدد من مزاج اصحابه الا حصول بول ريرلنج . فتبادل النحيب
وذهبا الى إحدى الموائد .

في هذا الصباح كان بايت ينادي بضرورة الاقتصاد على
الاعتماد الخفيف . ولكنه الآن لم يمع الا باللحوم والكريمة والمطائر
الدسمة .

وقرر بايت على صاحبه ما كان من امر تلك الصعقة التي
عقدتها في الصباح لحساب كونراد ليت .. وقال :

- والحق ما بول أنني لا ادري ما أصابي .. يداحسني اليوم
شعور عجيب ربما كان راجعا الى مشوه الربيع .. احوال اسرتني
بحاء . ولذي سيارة فخمة . وبیت جميل ، وشركة ناجحة ..
ولست في حياتي اية رذيلة فيما هذا التدخين وسأقلع عنه حتما
وأتردد على الكنيسة وألعب الجولف وأخالط اكرم الناس .. ومع
ذلك فليست راضيا عن حياتي ! .

فهز بول كتفيه وقال :
- هذا شأننا دائما نحن رجال الاعمال . حياتنا ملأى بالمتاعب
.. لا احب طبعاً ان ارهقك بعمومي ، ولكن اسمع هذه القصة ..
بالامس ذهبت الى السينما انا وروجنى زبلا . وكان المدخل خاصا

والجمهور . فأخذت تشق لنفسها طريقا وهي تصيح : « افسحوا لى طريقا ! . ابن الاحلاق ! . ابن التهذيب ! . » وسدقنى يا جورج اذا قلت لك انى كنت اتمنى فى هذه اللحظة ان انقض عليها وأفلها .
انها دائما تسمى الى اناره المتعاب وتريد ان تتقدم على جميع الناس حتى فى غير دورها . وقد التفت اليها رجل مهذب وقال فى لهجة مؤدبة : « سيدتى . . لماذا تحاولين ان تتجاوزين ودورى سابق لك ؟ » فما كان منها الا ان صاحت : « انك لست مهذبا » والتفت الى وجدبتنى من ذراعى وهي تقول : « بول . لقد اهاننى هذا الرجل ! » وتظاهرت بانى لم اسمع قولها وان كان صوتها لسيبها بصعافير المصانع . واشتت بوجيى والناسر نهبوننا ينظراتهم وينالون منا بكلماتهم اللاذعة . ودلا ماضية فى سبابها هائلة :

— بحيان يحرم دخول هذه السبما على الرعاع . . بول . .
هل لك أن تستدعى المدير ليطرد هذا العار القلرا .
فأسرعت بالذهاب لا لكى اتادى المدير ولكن لكى اسمد عنها .
وبعد اربع وعشرين سنة من هذا المذاب لا منتظر منى يا جورج ان اقول لك انه ينبغي ان تكون راضيا عن نفسك وهي حانك .
فقال جورج بايت :

— وانا ايضا يا بول منبرم بحيانى الزوجية . . اكذ والمدح فى سمبل هؤلاء الاملاعين . فلا التى منهم الا المكراى والحدود . وحتى السيارة نابون ان بشركوها لى ، اذ يحاول كل منهم ان يستولى عليها . . ولكن لماذا لا تطلق زيبلا ؟ .

— ليتنى استطيع . انها تاتى الطلاق ! . وامى لا تمنى ان نحتنى حتى اجد سببا أبرر به رمع الامر الى المحاكم . ولكن فبد سنى وبينك . . ان اكون راضيا مقتبعا اذا هي خافتنى . . طبعاً انك تعرف انها لا تتخرج عن معازلة اى مخلوق . ولها تلك الضحكة المعموقة الربانة ، وتلك الجملة التى لا تعتا ترددها « اسمد عنى ايها الحبيث والا فتك بك زوجى الجار ! » وهذه الكلمات تشمر أصدقاءها وتجترنهم على مداعبتها فتطيب نفسها بذلك . . عند ما امقتها ! . انها تريد منى ان اشترى كل شىء فى العالم واسمه اليها . . وعندما تنور تاترنى تتظاهر بالفضب والضعف وتزعم انها لم تطلب شيئا . . انك تعلم انى احب ان ادخن السجائر الفاخرة ، ولكنها تاتى على ذلك وترغمنى على تدخين الانواء الحميرة فقال جورج بايت :

— وبهذه المناسبة هل انباتك يا بول انى عرمت على الافلاع من التدخين ؟ .

- حقا ؟ . وأنا احب الاطعمة الشهية ، ولكنها لسوء الحظ لا تجيد الطبخ ولا تجيد المائدة والمهاترة . انك دائما تتحدثين يا جورج عن العفيلة والشرف والاستقامة . ولكن مدفنى ان لا شيء يمكن ان يتسببني هذه الولايات الا الانغماس في الرذيلة . هي وحدها الكاملة بان تنفدنى من زوجتى ربلا ..

فقال جورج بابيت محتجا :

- ينبغي يا عزيزى بول ان يكون رجل الاعمال مثلا اعلا في

العفيلة ..

- ذلك من هذه العبارات المحفوظة . لقد كنت حبيبا دائما انتحرت منذ بضعة اعوام لو لم افابل في بعض الليالي فتيات جميلات يداعبنني ويجمعنني انسى . الحياة المحترمة . التي تنادى انتنا بضرورة التثبت بها . وحياتى في المصع لا تطلق ايضا . العاية التي اسعى اليها هي القصاد على جميع المنافسين . تم مضاعفة اسمدرى بعد ان يحطولى الجو . وكل هذا على حساب الجمهور المسكين .. وقد كان الواجب معنى بان نضع الحكومة يدها على جميع الصانع وتحدد الاسعار المناسبة ..

فصاح جورج بابيت مقاطعا .

- ما هذا الهذيان يا بول . هل اصبحت اشتراكيا ؟

- كلا بالطبع .. اى اعرف ان للناس فيه فوائد وان المقاهى للاصلاح . ولكنى اردت ان اعول . انظر الى هؤلاء الالوف المحسنين في عدا المادى .. لو امك طلبت على طوايا بعوسهم لوجدت . انهم راضين عن زوجته وحياته المنزلية واصدقائه واعماله وأولاده .. والثالث الثانى علق مصطرب وان كان يابى الاعتراف بذلك .. اما الثالث الباقي فسمى مكوب . يحمل العذاب الى ان يجيء يوم يخرج فيه من طوى الاحمال والا فحافا يفسر حوادث الانتحار التي لا يمتدى احد الى سرها ؟ . وبمعاذا تفسر اقدام الناس على التنوع في الحروب والقاء انفسهم الى جحيم الموت . انتظهم يعملون ذلك بدافع من الوطنية ؟ .

فصاح بابيت :

- وماذا تنتظر . انتظنا خلقنا لننام على فراش من الورود

والازهار ؟ . انتظن ان الانسان خلق ليكون سعيدا ؟ .

- ولم لا ؟ . وان كنت لم اجد حتى الان من يفهمنى لم خلق

الانسان ..

لقد اجاب الانجيل على هذا السؤال .. خلق الانسان

ليؤدى واجبه في الحياة .. واجب نحو الكمال الانسانى . فالله

ينكس عن أداء واجبه هو عائلة على الدنيا . هو جرثومة غساق !
أظن أن من حق الإنسان إذا برم بزوجته أن يتخلى عنها وأن
يشتر . . .

- الواقع نبي لا أدري ما هي حقوق الإنسان ! . كما اني
لا أدري الوسيلة التي تنقذ الزوج من ووجة لا يحبها ! . ولكني
أعرف على الأقل أن تسعة أعشار الناس متمرعون بحياتهم . . .
هنا إن العراقة تنقصنا . نمضي ستين عاما نتظاهر بالعبادة .
ونجامل . ونلتطف . ونعصير . ثم نمضي بقية الحياة أموالا . .
لو أننا تدرعنا بطيل من الشجاعة تكما أسعد حالا مما نحن الآن .
واستد بينهما الحوار وانتهى الأمر بتسليم جورج بابيت . وعلى
الرغم من تشبته بالواجب والتسامح والصبر . . اعترف بأن
الحياة أصبحت لا تطاق . . وقال :

- اسمع يا بول . . أنك لا تفنأ تتحدث من ضرورة التلرع
بالشجاعة فلم تجبن ؟ .

- اجن بحكم العادات المتسلطة . بحكم التقاليد التي يوافق
عليها الناس . . نسافر زبلا الى نيويورك ونمضي وقتا في المادب
والمسارح والحفلات ، ضاحكة مبهجة تتلقى مغازلات المجانين في
صروح . بينما بابيت وريزلنج وأمثالهما يصمرون ادمغتهم سرا
ويعضون ليلهم ونهارهم في الكدح المتواصل ! . لماذا لا نزعج أنا
وأنت أن هناك عملا يقتضي وجودنا في نيويورك أربعة او خمسة
أيام ثم نسافر الى مي ونمضي فيها أياما في اللهو والمرات . ندخن
ونلعب القمار . وننأ طيلة النهار ! .

فقال بابيت في إعجاب

- فكرة رائعة ! . .

منذ أربعة عشر عاما وهو لا يأخذ عطلة الا رافقته لهما
زوجته . . ولم يحرز على التفكير في أن يمضي عطلة بدونهما .
واستوصل بابيت قائلا :

- ولم لا ؟ . . ليس في هذا العمل اية جريمة . يمكنك ان
تقول لريزل . .

- لو اني انضبت الى ريزلا بالعقيدة لمأمنت في ذهابي ولاعتدت
اثنى ذاهب لا قابل بعض النساء . . وكذلك مستقول لك زوجتك
ميرا « أنكرو ان اصاحبك الى مي » . فتضطر ان تجمألها
وتدعوها الى مرافقتك . . وبذلك تفسد العطلة وتنتقل ملك
الأسرة بمناصها وهمومها . .

وفرك بابيت كفيه وقال ، وقد استخفه الطرب :

- اسمع يا بول .. اتى مسافر الى نيويورك لاعتقد مسابقة هامة وطميفة الحال ساكون في حاجه اليك لترشدني رايك المصائب .. نعم .. نعم سذهب الى نيويورك ومن هناك مسافر توا الى مين . رفي مين يمكننا ان نتخلص من همومنا ومتاعنا .. ولكن اسمع يا بول .. يجب ان نسلك ملوكا شريفا .. انك تعلم اني احب ان انشئت دائما بالفصيلة ، فلا تحاول ان تستمرجتي الى عمل متافى الغضيلة .. نعم .. مسافر الى مين . فالى اللقاء ايها الصديق العزيز .. نعم .. مسافر الى مين !

الفصل السادس

- ٩ -

تسى نايت صديقه بول ريزلج في غمرة الاعمال المختلفة التي انشكت فيها بعد الظهر ، وصحب احد عملائه في سيارته ليرجعه على مسكن معروض للايجار . وايدى العميل اعجابه السيد بالمنزل الكهربائي مريح لقاء هذا تحفيعا جسيما في الإبحر .. واشغل بابيت ثلاث سجانر ضخمة بواسطة المنسل . وكرر مرة يقذف بالسيجار من نافذة السيلو وهو يقول :

- يجب ان اطلع عن التدخين !

ثم يشغل سيجارا جديدا ليرسى في نفسه شهوة الاعجاب . وأخذ يحدث عميله عن الاحتراعات الكهربائيه الحديثه وما لها من فائدة . وار العالم بدونها كال جذيرا نار يصح مسجراه محدنة . وهو في كل مره يشير الى المنسل ويقول . انظر .. الا تراه مفيدا ؟

وهر في طريقه بحبه هنرى تومسون فدعاه الى منطاطرته سيارته وحده عن المنسل الكهربائي الجديد . ولكن تومسون كان على نقيص صهره يمضت الاحراعات الحديثه . ولم يصرح منه بابيت هذا الراى .. اد كان له في حبه راى غريب . كان يعتقد انه رجل خلق منذ اجيال ونسى ملاك الموت ان يقبض روحه فعاث في دنيا لا يعيها ولا تمت اليه صلة . وقال له تومسون :

- تست اظن ان في سياره نوبل وبلاند او سياره شارلي ملك كيلفى مشعلا كهربائيا !

ولما بلغ بابيت مكتبه كان الحق قد اشتد به .. الا وبلاند او ملك كيلفى يروحان أكثر مما اروح يكون لهما العدو الاول ويكون

رايها حكما لا ينقضى ؟ . والله انى لاكره ان اجلس اليهما . بل انى لاكره ان استمر فى عملى ويخيل الى انه سيحل يوم ارحل فيه من هذه المدينة واهجر الكتب .

كان من عادة بابيت ان يردد فى صبح روجته قوله .
- يجب ان يحسن المدير معاملة موظفيه . . ان التعاون هو الخلطة المثلى . . لولا الموظفين لمجز المدير عن انجار عمله . فعليه ان يترفق بهم .

ولكنه اليوم سعى الخلطة المثلى حتى دخل عليه ستانلى جراه يسأله ان يزيد ممولته . . فلما كان منه الا ان صاح به فى غضبه مكتوم :

- اسمع يا ستان . . يجب ان نسوى الموقف . . انك تعتقد انك انت الذى تقوم بالعمل . . عليك شمعى كيف فينب هذه الجريسة فى دماغك ؟ . ومادا يكون من شأنك لو امى لم ارودك يراس المال ويغوام العمارات والاشخاص الذين تعقد معهم الصفقات ؟ . ان عمك حاصر على تنعذ تعليماتنا . . وصدقنى اذا قلت لك ان بواب العمارة يستطيع ان يبيع اى عقار بنفس السهولة التى تبعه انت بها . . يقول لك حظيت فذة وانك تصطلى الى تركها فى الماء للبحث عن المشترين . . غاي سبر فى هذا ؟ .
تريد ان تقضى المساء جالسا الى حوارها مصكبا يدها ؟ . اسمع يا ستان . . اذا كنت خطبتك عاقله سيسعدنا ان تراك رجل همنى سعى الى المال ، ان انرحل الذى يمضى مساهة فى مطالعة القصص او معارك القنباة رجل لا يصلح لار بعشي ! . فلما هي غابتك فى الحياة ؟ . اننا نريد هنا اشخاصا لهم قدرة على التنبؤ .
اشخاصا لهم مثل اعلى يسمرور اليه . . فهل انت صاحب مثل اعلى وصاحب قدرة على التنبؤ . . أم تعود متواكل خامل ؟ ! .

ولم يكن جراه فى هذه اللحظة مغرما بالمثل الاعلى او بالقدرة على التنبؤ . . ولهذا قال :

- تقول انه يجب على ان اسمى لجمع المال . . وهذا حق . . ومن اجل هذا اطالب بزيادة عمولتى . .

- اسمع يا ستان ! . انتى ضد لنا منح الملاوات . . اذا منحتك علاوة لم يتردد الآخرون فى مطالبتى بمثلتها . . وليس من الانصاف ولا من العدل ان اعطيك واحرمهم . . ولا تظن يا جراه انى اريد بهذا ان اخرجك حتى تتخلى عن العمل لابادر الى تعيين شخصى سواك بممولة اقل من الوف الماطلين الذين يتكلمون فى

الطرافات . كلا يا ستان . انى احبك ولا ارضى ان اتخلى عنك على الرغم من ان هناك كثيرون يرضون بعموله اقل من عمولك . .
فتنهده جراف وقال :

- طبعاً . . طبعاً . . انى اشكرك . .
وانصرف . .

ولما حلا بابيت الى نفسه كان شديد الإعجاب بالمحاضرة التى القاها . ولكنه ما لبث ان سمع لفظا فى المكتب الخارجى . . فقال فى نفسه :

.. يظهر ان كلمائى اغضبت ستان ؟ . وليت تسرى ما الذى يقوله الآن لمس مالك جاون ؟ . بوى ان أعرف الحديث الذى يتبادلان . .

وعندما فادر المكتب فى المساء حيل اليه ايهام جميعا بمرورهم بنظرات شذواء ويضحكون وراء ظهره ساخرين . . وقد تراه ان يكون موصفا للخربة ، ولكنه لم يجرؤ ان يستدير اليهم فجأة ليرى كيف ينظرون اليه .

- ٢ -

عندما دخل ماييت داره صرح بملء صوته : . . اى انت ؟ . .
يقعده زوجته . . دون ان تكون فى نفسه رغبة حقيقية فى معرفة مكانها . .

ولما جلسوا الى مائدة العشاء ذكر المشعل الكهربائى مرفع صوتاً قائلاً :

- اظن انه يحسن منا ان نشتري سيارة جديدة .
فصاحت به عيروننا قائلة :

- ولكن سيارة مقفلة يا انا ، فانها اجمل شكلاً .

- اما انا فأؤثر السيارة المفتوحة لانها تملأ الرئتين هواء نقياً . .

- فقال تيد :

- هذا لانك لم تجرب السيارة المقفلة . انها تدل على الرقى

واليسر . .

فكانت مسز بابيت : - السيارة المقفلة تحمى الشباب من الفجاءة وقالت فيروبا : - وبقي النسر مصقولا لغير منفوش .

وقال تيد : - وتدلل على الوجاعة .

وقالت تينكا : ان لدى والد مارى البين سيارة مقفلة .

واختتم تيد المناقشة بقوله :

- الناس جميعا يفتنون سيارات مقفلة الا نحن !

فنظر اليهم باييت متحديا وقال :

- اظنون انى اقتنى سيارة لاجعلكم تشبهون باصحاب

الملايين ! . انى احب السيارة المفتوحة لانى احب الهواء النقى .

وعصلا عن هذا - فالسيارة المقفلة اقلى ثمنا .

فعال تيد :

- ادا كان « دو بليرو » قد ابتاع سيارة مقفلة فهل نمجز نحن

فى ذلك ! ؟

- انى اربح نمايه آلاف دولار فى العام ، وهو لا يربح الا

سبعه . لكنى لا احب ان ابتر اموالى كما يبتريها هو .

وبدج بهم الحديث الى الكلام عن لون السيارة وقوتها وعدد

مقاعدھا وطرازها . الخ . وهم فى كل هذا يفترضون انها

سيارة مقفلة دون ان يقيموا ورنا لراى الرجل الذى سيدفع

الثمن ! .

سخن المناقشة فترت حين اعلنهم باييت انه لا ينوى ان

يشترى السيارة الجديدة ، فاعلموا بصبره فى الفاظ رقيقة بانه

لو كان من الوجهاء لعرف ان شراء السيارة الجديدة ضرورى .

وان . . وان . . الخ .

بمال باييت فى نفسه :

- بها من اسرة ! . لا ينعلنى من هذه المباترات الا السقرا

نعم . . ساسافر الى مين مع بول ! . واسى البيت وهمومه .

- الفت الى زوجته وعال فى شيء من التردد :

- لقد كتب لى احد عملاى فى فيويورك يدمونى الى مقابلته

بشار صفعة هامة ، وربما صحبى ريزلج لاستشير رايه فى مسألة

السقوف . .

وخرجت فيرونا عقب المشاء ، وشيخها ابوھا بقوله :

- الا تقضين ليلة واحدة فى الدار !

اما تيد فجلس يدرس محاضره . على انه ما كاد يقرأ بضغ

دقائق حتى قلل محتجا :

- لت شعرى . لماذا يرهقوننا بدراسة شكبير وملتون !

وما فائدة اللغة اللاتينية ونحن نتكلم الانجليزية ! . ان هؤلاء

المدرسين . .

فالت مسر باييت مؤنة :

— أتى طبعها لم اقرأ شكبير ، ولكنى لا أظنه يستحق القراءة ..
فرفع باييت بصره عن الصحيفة التى كان منهكما فى مطالعتها وقال :

— يجب أن تدرس شكبير لانك لن تنجح فى الامتحان الا اذا درستته . وان كنت فى الواقع اعتمد ان هناك ما هو اجدى واعم من دراسة شكبير .. لانا لا نعلمونكم مثلا ادارة الاعمال او طريقة كتابة الرسائل التجارية او نحو ذلك ! . ولكن ما الداعي الى الجدل والحوار ؟ . هذا امر معروف فلا مهرب منه ! . عليك يا سيد انك تريد ان تخالف الناس .. اذا كنت مستلحق بمدرسة الحموى ؟ . ويجب ان تلتحق بها ؟ . فستكون فى أشد الحاجة الى اللغة اللاتينية ..

— وما فائدة مدرسة الحقوق ؟ . بل ما فائدة الجامعات على الاطلاق ؟ .. اتى امرى اشخاصا لم يلتحقوا بالجامعات واسموا همدوا الى العمل فى سن مبكرة .. وهم الآن يربحون اسعاف ما يربح خريجو الجامعات .. ان المسكين شيسى بيتور استاذ اللغات فى المدرسة لا يربح فى العام الواحد الا الف دولار مع ان عمال المتاجر لا يربحون بهذا الاجر .. اتنى اريد ان اكون طبيارا او صاحب جراح او واحد من اولئك المدبوبين الذين يوفدهم شركات البترول الى الصين .. وفى وسعى ان ادرس فى يقات فراغى فى مدارس المراسلات .. ان هذه المدارس تساعد على دراسة اى فرع من العنود والطوب .. ألم تقرا بعض اعلاناتها ؟ . لن لدى مجموعة منها ..

واخرج من بين دفنى كتاب الهندسة مجموعة من قصاصات الصحف والمجلات ملأى باعلانات مدارس المراسلات .. وتناول اعلانا منها تلووه صورة شاب يبدو على وجهه مخاض الدماء والبار وحوله عشرات من اليائس يسألونه عما صنع . وتحت الصورة الاعلان التالى :

« نجاحك فى قدرتك على الكلام »

نحن نعلمك

كيف تخاطب صاحب المسكن . كيف تحطب فى المآدب ، كيف تروى الحكايات ، كيف تغازل السيدات . كيف تملى مدعويك ؟ كيف تفرى العملاء ، كيف تكون شخصتك . وباختصار كيف تصبح رجلا قويا ومعكرا . نحن نعلمك كيف تنجح فى الحياة .

« اتدري من الذي قابلته بالأمس في مطعم لويس ؟ » قالت فريدي ديركي الذي يستقل كاتبا في أحد مصانع السفن والذي أعادنا ان نلقبه باليت الحي .. وفي بعض الاحيان كنا نسميه « الفار » .. كان عهدنا به رجلا شديد الحياء .. شديد الوجل يموت رعبا اذا دعاه المدير يوما الى مكتبه .. ولم يشعر احيد بوجوده واهميته على الرغم من كفاءته في العمل .. يا له ! كيف يجبر على دخول مطعم لويس ؟ بل من اين له المال الذي ياكل به في هذا المطعم الذي لا يفشاء الا اصحاب الملايين .. ولكنه كان جالسا الى مائدته رابط الجاشي متزن الحديث لا يربك امام الجرسونات بل يخاطبهم في غير مسألة ..

فقد سألته عن شأنه فضحك وانبأني انه اصبح مساعدا للمدير في مصنع السفن .. فلما ابدت استقراي انبأني انه التحق باحدى مدارس المراسلات وتلقى فيها فن الحديث .. فاستطاع بذلك ان يدخل على رئيسه غير هياب ولا وجل وثبت له في براعة وطلاقة أنه كفاء في عمله وانه يستحق ملاوة كبيرة .. فأتقنع المدير بصحة رايه وضاعف مرتبه .. وما زال يتدرج حتى صار مساعدا للمدير ..

ولماذا لا تفعل كما فعل فريدي ديركي ؟ لا تتردد لحظمة واحيدة .. بل اكتب في الحال الى الحطيب المعود البروفسور والدوبيت « على تذكرة بريد » اطلب منه درسا على سبيل التجربة فاذا استغدت فادفع الاشتراك ترسل اليك باقي الدروس .. واذا وجدتها غير مجدية ودت اليك نقودك على الفور ..

اكتب الى البروفسور بيت .. انه يستطيع ان يرفعك من الخمول الى الشهرة .. من كاتب حقير الى مدير كبير .. انه يستطيع ان يخلق منك رجلا .. هل انت ممن يقتنعون بريح نافه ؟ أو بريح ضحك ؟

اكتب الى البروفسور بيت على الفور .. انه مدير مدارس المراسلات في ساند بيت ..

والى « جورج فـ » يا بيت نفسه في حيرة امام هذا الاعلان ان لم يمرض له في حياته بصفته من سمسرة الاراضي والمقارن ما يمكنه من ان يدلي برأي في موضوع مدارس المراسلات . فقال في شيء من التردد :

— اعلان مفر .. الواقع اني اعتقد ان لدى شيئا من القدرة الخطابية .. واتى لاعلم ان رجلا غبيا مثل شان موت ما كان لينجح في عمله كسمسار للمقارن لولا بلاغته وطلاقة لسانه .. ولكني

لا أرى ما يدعو إلى التحاقك بمدرسة المراسلات ما دمت تتلقى في
مدرستك العالية كل شيء يتعلق بأسرار اللغة الإنجليزية .
فقلت مسر باييت مؤيدة : هذا صحيح ..

وقال يد مسترضا :
- ولكنهم يعلموننا يا ابتاء إلى جانب اللغة الإنجليزية دروسا
أخرى غير عملية .. والآر أصح إلى هذا الإعلان :

« هل أنت ضعيف جيان »

« يهزا منك الناس »

« إذا كنت سائرا مع أمك أو اختك أو حبيبك وأهانتها أحد
الساورة بكلمة جارحة فهلا يترك الحجل إذا عجزت عن الدفاع
عنها ؟ أيمكنك أن تلود عنها وتحبها ؟ »

« أنا نعلمك الملائكة والدفاع عن النفس بالمراسلة .. واقسم
كتب إلينا بلامتنا الكثيرون يؤكدون لنا أنهم استطاعوا بمساعدة
دروس قليلة أن يتغلبوا على خصوم أقوى منهم وأضخم أجسادا ..
تبدأ الدروس بحركة بسيطة بحريها أمام المرأة .. كيف تنفذي
ضربات خصمك .. كيف تشل حركته بحيل المصارعة اليابانية ..
الخ .. ولن يمضي وقت طويل حتى تجد نفسك بارعا في تسديد
اللكيمات والقدادة والتراجع كأنك أمام خصم حقيقي .. »

وعلق « تيد » على هذا الإعلان بقوله :

- بودى أن أنعلم الملائكة بالمراسلة لأنني درسا على زميل لي
في المدرسة يحاول دائما أن يفيظس ..
فقال نايت :

- كلام فارغ ! يا لها من فكرة ! الملائكة لا نفع لها ..
- ولكن افرضي أنني كنت أسير مع ماما أو دون وأن أحد المارة
أهانتها بكلمة جارحة .. فماذا أفعل ؟ ..

- نتظاهر بالصمم وتبتعد بأسرع ما يمكن ..
- لن أفعل شيئا من هذا .. لو أهان شخص أختي لأرته ..
- اسمع يا جاك دمبي ! إذا عرفت أنك تشاحنت مع أحد
حركات أذنك ؟ وأقيمت عليك درسا لا تنساه .. وسألقه عليك
دون أن أكون في حاجة إلى الوقوف أمام المرأة والانيان بحركات
أشبه بحركات الجنائن ..
وقالت مسر باييت :

- إن التشاحن لا يليق بك يا تيد ..

- ولكن افرضو يا امام انى كنت اسير معك وان شخصا اهاتك
بكلمه جارحه ؟؟

فصاح بايت :

- بن بيت احد احدا بكلمه جارحه اذا خطر لك ان تبقى في
البيت مدرس الهندسة مثلا من نصيب وقتك عيشا في صلات
الزهد . حول الموائد المصفونه عليها رجالات الصودا ..
- الهى .. ولكن لا تعرض يا ابتاه ان ذلك ومع .. ؟
فدأب مسر بايت :

- يا ومع هذا فلن اشرفهم بالايمان يوم .. بل سأتابع سيرى
كفى .. اسمع سنا .. ومع ذلك فالرجل لا يحترش بامرأة الا
اذا حفته على ذلك .. ولم يسبق ان يحترش بى احد حتى ..
- لكن لعرض يا امام ان شخصا يحترش بك .. مجرد
فرض .. الا يستطيع ان يرمى .. الا تستطيع ان تتصوره
وسحلى ..

- نعمنا يستطيع ان يتصور .. يا له من سؤال !

- امك طمعا يستطيع ان يتصور ويتحيل .. وتستطيع ان
تفرض .. اعطى لك دور الاسود جميعا الشخص الوحيد الذى له
القدرة على التحيل والتصور .. ولكن ما الداعى الى كل هذه
الغروب ما دامت الوقائع حاصره امامنا ..

ولكن اسمع يا ابنى .. افرض .. مجرد فرض .. افرض
انك في مكنتك واب سمعنا من مافيك الدين تكرههم ..

- ابنى لا اكره احدا من السامرة ..

- افرض انك بكره احدهم .. مجرد فرض ..

- ان افرض سنا من هذا القبيل .. طمعا هناك كثير من
السامره بكرهين بعضهم بعضا .. ولكن اذا كانت اكبر سنا مما
انت واذا كنت لا يحسد ذهنك بالترهاب والسعادات التى تلقىها
اليك الغيبات الماحضات اللانى يرافضك الى دور السينما عاربات
السيقان حمر السكاف .. اذا كنت كذلك اميتك ان تعرف انى الرجل
الوحيد في زينت الذى ينادى بصروة التسامح بين اصحاب
المهنة الواحدة .. ولهذا لا يستطيع ان افرض انى اكره احدا
من السامرة .. حتى ولا ذلك الصعلوك الحقير مسيل راوتري
الذى لو تمكنت منه لستقته ..

- ولكن ..

- " تفل " اذا " ولا تفل " ولكن .. ولكن اذا فرض وحدث
كفى .. من هذا القبيل فلن احاج الى الوقوف امام المرأة والايسان
يهده الحركات الجنونية .. لعرض انك كنت في مكان ما وتحترش

بك احد الاشخاص فهل تظن انك ستشبه وتقفز وياوح بيدك كأنك
مهرج لا .. كلا .. بل تقصر عليه فجأة وتطرحة أرضا ثم تنهض
واقفا وتنفض العار عن ثيابك .. فيحب ان نرى هذا وانك ان
تفكر في ان تتعلم الملاكمة بالمراسلة ..

مقال بيد في باس وقنوط :
- لقد أودت فقط ان اريك ان مدارس المراسلات تعالج كل

فن وعلم ..
ولم تكن هذه هي كل الاعلانات التي جمعها بيد بل كانت لديه
منها مجموعة طريفة بعضها يبشر الناس بان في امكانهم ان يتعلموا
العرف على البيات في ملاه ايام .. وبعضها يدعو القراء لحنس
جوبهم بالمال .. وبعضها .. الح ..
وكان من بينها اعلان هذا نصه :

« بسمات الاسابع - مثنوب شرطة سريون - الريح مضمون »
وبعد ذلك كلام طويل عن ان هذه هي المهمة التي يقصو اليها الناس
وانه يبشر بالريح الحزبل مفضلا عما فيها من بلبه وادارة
للاعتصاب وسعاصرات رائحة .. في هذه المنة تفصح بطل الساعة ..
تفصح عدو المحرمين وحلال المعد والاعزاز .. انها مهنة تهدي لك
الانفعال بكبار الاغنياء .. وقد يفتحي ملك العمل ان تسافر الى
اقصى البلاد ..
وهنت بيد يقول :

- يودى ان اصبح شرطيا سريا وان اقصر على المحرمين ..
وقال بايت :

- اولى هؤلاء الناس ان يوحبوا جهودهم الى الاسباح ..
فانلاد في حاجة اليه اكثر مما هي في حاجة الى رجال البوليس
الرى ..
ثم اودف يقول :

- حقا لقد برع اصحاب مدارس المراسلات في في الاعلان ..
ولكن لا يسى - بيد انهم يبالغون في بعض الاحيان - ولست ادري
اذا كان في وسعهم ان يحضروا هذه الوعود التي يمنون بها الناس ام
لا اني مملك باء ان الجامعات والمدارس العالية تصيح اوقات
الطلبه يحشو دمعهم بسخافات كثيرة ليست لها اى فائدة عملية .
وان كنت بطبيعة الحال لا اصرح بهذا الرى على ملا من الناس ..
اما مدارس المراسلات فهي فيما اعتقد تقدم الى الطالب اللقمة
سائفة - تقدم اليه العلم مركزا - يقولون ان امريكا هي بلاد
الاحراغاب - وفي رايي ان مدارس المراسلات هي اهم اختراع
اخرجه امريكا - وعلى الذين يدرسون تاريخ بلادنا ان يوجهوا

التفانياتهم الى مدارس المراسلات . فأمريكا ليست ام الاختراعات
وام اسخريم وام الديموقراطية وانما هي ايضاً ام التعليم بالمراسلة
.. وهذه ناحية من التفكير الامريكى ينبغى العناية بها .. اد.
مدارس المراسلات جذيرة بالاعجاب الشديد .

- ان مدارس المراسلات جذيرة بان تمحي .
وكانت مسر بابب هي التي ألغت هذه القنبلة ا
لم استرسلت تقول :

- ان هذه المدارس تعلم السبان القزور وتقدم اليهم قشورا
عافية وبث في نفوسهم الاعتقاد بانهم اصبحوا من كبار العلماء .
فتحول اليها باببت قائلا :

- كلام فارغ . اتصدين ان الطالب في الجامعة يتعلم اثر مما
يتلقاه من طريق مدارس المراسلات لانه يخرج في كل صباح ومذهبي
الى الجامعة ويحلى على مقعد وليم ؟ انى خريج الجامعة ومع ذلك
لنأني لم اعلم فيها شيئا . ليس معنى هذا اني حملا لا افهم ولكني
لودت ان اقول .. ومع ذلك اسمعي .. هناك اعتراض يمكن ان
يوجه الى مدارس المراسلات لانها تفرى الصال وصفار الوطنين
بالتعلم فسمعتون مهتهم ويتطلعون الى ما هو ارفع منها .

فعال بيد

- ما رايتك ما ابي في ان اسافر الى الصين وانعلم المبكاسفات
بالمراسلة ؟

- كلا يا سي فان الانسان يفخر حين يقول انه حاصل على
الشهادة ككالوروس من جامعه كذا .. ولكنه ان يبحر حين يقول
انه حاصل على شهادة لا قيمة لها من مدارس المراسلات .
- هذا صحيح .. اود .. لقد نصبت القنصيات اللائ .

صاحبي الى معهد الفناء ولقد ارب الوقت .

- ولكنك لم تنجر واجباتك المدرسية ؟

- سانجرها في الصباح بمجرد استيقاظي من النوم .

- فيمكن .

في خلال السنين يوما الماضية . ذعق باببت في ابنة ستين مرة
قائلا

- « كلا .. انك لن تنجرها في الصباح .. بل ستنجرها

الآن . على العروة . لا تخرج الا اذا اجزتها .. »

اما في هذه الليلة فلم يشأ باببت ان يردد جملة المهود وانما
قال في نفسه :

- فلأتركه يفرج من نفسه له

وذكر الانفال الذي بينه وبين ريزلنج على السفر سرا الى
صين ..

- ٤ -

التمت باييت الى زوجته وقال :

- ان تيد ولد طيب .

- طبعا .. انه ولد طيب .

- ولكن من هؤلاء العنيات ! اهن محشومات قاضلات !

- لا ادري .. ان تيد كتوم لا يعدلني بشيء .. كان ابنتك

وينات عدا الجبل العجيب ، ولم يكن من عادتي ان اكنم اى شيء

عن مى وابى .. ارجو ان يكن قنيات شريفات .. ان تيد لم يعد

فلام ولست احب ان يختلط بعنيات صينات السمعة .

وذالت مسر باييت في صوت منخفض وقد تخطب وجهها

احمراراً .

جورج .. الا ترى ان الوقت قد حان لكى تنتهى بتيك

جانبا وتحدث اليه عن .. عز : الاشياء ؟ !

- لا ادري .. ولكنى اعتقد يا سيرا اننا بهذا الحديث نعلم جيداً

الـ .. الاشياء التى يجعلها .. ومع ذلك فالمشكلة عويصة

وماستشم الدكتور ليتل فيلد في هذا الامر .

ان ابى بشاطرك رايك فهو يقول ان تعليم هذه الاشياء

ليس من الاحتمام فى شيء

- حقاً : - هذا رايه .. اسمعى . عندما يقول ابوك المحترم

صيتو هنرى تومسون ان الشمس تشرق من الشرق فساقول أنا

انها تشرق من الغرب وما دام ابوك لا يوافق على ان نعلم اطفالنا

هذه الاشياء فسلعلمها لنيد .. وساذكر له الاسباب التى تدعونى

الى ان امشى هيئة شريفة بعيدة عن النساء .

- حقاً .. افى فيتك ان تعلمه هذه الاشياء ..! ولكن متى ؟ !

- متى .. متى ..! ما معنى احراجى بهذه الاسئلة ..!

متى .. وكيف وايضاً ..! ولماذا ..! عيب المرأة انها شديدة

التمحل .. ساكلمه عندما تجيء الثنابة .. اهذا صوت بينكا ؟ !

اولى بك ان تلمبى اليها لترغبها على النوم بدل انادى بهذه

الاسئلة .

وبركها وخرج الى الشرفة وقال فى نفسه :

- ثم يجب ان اسافر الى مين لانتخلص من هذه الهموم والمتاعب .

وذكر صاحبه بول ريزلنج والاتفاق المفود بينهما . ثم ارتلنا بذهنه الى ايام الشباب والى الغنيات اللاتي تعرف بهن وهو طالب في الجامعة .

ان ميرا تومسون هي احدى قريبات بول وكانت في ذلك العهد مقدمة من الارياف . . . ووجد فيها بايت ما يرضى كبريائه حين كانت تهزأ به زبلا صديقة بول . . . اذا تحدثت بايت عن مطامحه ومطامحه وانه سيصبح في يوم من الايام محافظا للمدينة هرات به زبلا وسحرت منه . اما ميرا فكانت على العكس من ذلك تنصت اليه في اهتمام وفي اصجاب .

وفي ذات يوم دخل عليها فلعلها تبكي لان زبلا اهانتها . . . واسمعت ميرا راسها الى كتفه وجعلت تمضي اليه . وفانرت بايتا ومال فوقها لتعمل جبينها محاولا ان يسرى عنها . فرفعت راسها وقالت :

- الآن وقد اصبحنا خطيبين فهل نتزوج فوراً ام ينتظر ؟
اصحاً خطيبين . . . لا يشعر بايت بالخوف وتثلجت اطرافه ولكنه لم يحرر لسانه ان يكتشفها به لا يحبها وانه انما قلها بدافع من الحزن . وغصم كلمات غير معبودة عن الانتظار وصرورة الانتظار لم تركها وهام على وجهه في الطرفات ثلاث ساعات . . . وفي حلالا الشهر التالي هم بان يكتشفها بالحقيقة . ولكنه كان يشعر بالارتياح في كل مرة تتوارى فيها على صوره . . .

ولما تم زواجهما صار له نعم الزوجة الكاملة : مخلصه . . . موقورة النشاط . . . محبة لبيتها . . .
وتنهد بايت وقال في نفسه :

- انها لا تعيش الا لاجل لاجل الاولاد . . . وما يقربني ان في نفسها هموما عميقة ولكنها تكتم ولا تكشفني بها . . . مكنة . . .
اذا كانت لدى همومي في المكتب فلديها هموما في البيت .
ورجع الى القاعة واقترب من زوجته وتمر باصابعه على شعرها في رفق فرفعت اليه بصرها في دهشة واستغراب : .

الفصل السابع

- ١ -

صعد بايت الى الطابق الاعلى ليرتدى ثيابه المتزلية لم يرجع الى يده نعاقة وهو يقول

ـ تفاحة على الرقيق بعد الطيب من البيت والطريق

فقال سر يا بيت

ـ هذا صحيح . ولكننا الآن في ساعة اليوم لا على الرقيق .

ـ ولو . . . أن التفاح ينظم المعدة . ويجب المرأة أنها لا تصيب النظام .

ـ أنتى . .

ـ أنك دائما تأكلين بين الوجبات .

جورج : . . خبرنى . . هل تناولت اليوم غذاء أخفقا كما كنت بنوى ؟ لقد تناولت أنا غذاء خفيفا .

ولم يكن يا بيت يتوقع هذا الهجوم المفاجئ ، فقال .

ـ ربما لم يكن غذائى خفيفا . ولكنى كنت أتعلى مع بول فلم

يكن هناك مجال لتعيد هذا الاتصال ومهما يكن من الأمر فانا

الشخص الوحيد في الأسرة الذى يحب أن يتناول الأظعمة الخفيفة

ـ . . أتى . . لقد أضعفت عن التدخين

ثم أردف عن الأمور ممرا مجرى الحديث :

ـ اليوم أظهرت سلطتى بصفى مديرا . صالنى جراف (إن

أقربا مربى فصحت به : « ستان . . أنك . . » ورجرته رجرا

عنيفا .

ـ هذا إذن هو السبب فيما يبدو عليك اليوم من قلق وإزعاج .

ـ أن الجو جميل في هذه الأيام . وبودى أن أتريض بالسيارة

في إحدى الليالى .

فقال لزوجته :

ـ ستكور رياضة جميلة . . فمنى تذهب .

ولم يجرؤ على النظر إليها حتى لا تكتشف أنه يريد أن يذهب

مفردا دون أن يعجبه أحد من الأسرة .

وبصر في تكسل وقال .

ـ بدأ العاصى براودى .

وصعد إلى مخلفه .

- ٢ -

عندما دخل بايت إلى الحمام قبل النوم كان مشرحة الخاطئ

باسم النمر وقد ذهبت همومه وإحترانه إذ كان يفكر في الرحلة

التي بنوى القيام بها إلى مين .

واطلت الصابونة من يده وسقطت في حوض الاستحمام .

فجعل يخاطبها وينادىها قائلا :

- تعالى هنا ابتها الصابونة الماكرة ' ماذا ؟ اتريدان ان تهربي
حتى ؟ ساغوس وداك الى الاعماق . تعالى ابتها التسيبانة
الخيئة .

ولما تناول منشفته ليجمع جسمه لح فيها ثقباً ، فلما كان منه
الا ان دس اصبعه في الثقب واخذ يوصمه . ولما شرع يربدى ثيابه
يجعل يصفر . وهكذا الطرب يستغفه في ذلك الوقت الى درجة لم
يعدها في نفسه من قبل .

ولما صعد الى قرائه سحب الظلام على بدنه فالتى قدمه بارزة
فلمن لخدمة الترت لا تحصن تنسيق الاغطية . ولمن مسر بايت
لانما لا تراقب الخادمة .

ورأوده الناس . ولما كاد يفلته اتتبه فجاءه على روى سيارة
في حديقة مستر دوبيرو . وسكن الحبرك . وصفت ابواب
السيارة لم ابواب الجراج . وبعد ذلك ساد السكون .
فتنهذ بايت وقال في نفسه :

- ليت شعري لماذا لا ينام مبكراً ؟
واسلم نفسه الى الكرى .

- ٣ -

في هذه اللحظة في مدينة زينيت كان هوراس ابدلك بفانز
فوسل ماك كينفر . وهوراس مشهور في المدينة بأنه مغازل جريء
لا يخاف الاثراج وقصباتهم . وله في الاستيلاء على القلوب مشاورات
بلغة .

وفي هذه اللحظة في مدينة زينيت كان احد مهرى الكوكابين
يفازل احدي بنات الهوى فأرادت أن تمزج معه وأقرنت كاسها على
ثيابه فلما كان منه الا ان اخرج منه وقتلها .

وفي هذه اللحظة في مدينة زينيت بطس رجلان في معطيمسا
وقد مضت عليهما ست وثلاثون ساعة وهما يقومان بتجربة خاصة
يصنع المطاط الصناعي .

وفي هذه اللحظة في مدينة زينيت كان اربعة من السكارى
يتناقشون في اضراب عمال المناجم الفحم . . وهل سينال العمال
مطالبهم ؟ أم ينخلدون امام هناك اصحاب المناجم ؟

وفي هذه اللحظة في مدينة زينيت وصل رجل من اهل الريف .
وجعل له يركب ، حياته سيرة ولم ير حوصاً للاستحمام ولم
يقرا كتاباً عدا الانجيل . وكان يعتقد ان الارض مسطحة وان اوروبا

اسطورة خرافية وان الولايات المتحدة بلد ديمقراطية .

وفي هذه اللحظة في مدينة رينيب ذات مصانع السلاح والدخيرة
تعمل بلا استطاع . وعلى قيد خطوات منها رجل يدعو الى السلم
ونهد العرب .

وفي هذه اللحظة في مدينة رينيب كان مستتر : ريك ماندي
يوشك ان يفرغ من إحدى مظانه القيمة . ومستتر ماندي هو المشر
الأمريكي الشهير والمسيحي المتسامح المؤمن الذي كان من قبل
ملاكها محترفا .

ولم يربح مستر ماندي من الملائكة الا انفا موشمة ودحم : لا
تفنى من ابدع الفاكه السباب التي كان يحيى بها خصمه والحيور
الساخط الذي خسر أمواله بالمراهقه في صالحه . . فبحر الملائكة
اذ رأى ان خدمه الرب احدى عليه بالربح من الملائكة . والواقع
انه جمع من التبشير ثروة كبيرة . وقد اذاع بعض مربيه شرق في
الصحف قالوا فيها :

« لقد الت المحترم مستر ماندي المشر الأمين ان في وسعه ان
يحرر الارواح من الخطايا والآلام . وبمظانه القيمة وببشيره
المنطوي على الزمبار والاحلاص أمكه ان يرد الى الهدى أكثر من
ربع مليون من الضالين الحاملين كنعيا بل يماسي من الواحد
منهم بشرة دوراب مباله من ثمن بحس بدفعه المره في سبيل هداية
الروح والغلب . . »

وعندما هب المشر الأمين مدبه زينيت خطب مستر جورج .
ف . نابيت في بادئ بيسر داعيا الى تبليده ودعويته الى الماء بعض
القطرات في الأبدية والجمعيات المخلعة . واعتصر بعض رجال
الاعمال على الاحكام بالمشر الأمين ووصفوه بالدعي الدجال . ولكن
سكرير العربه الجارية مضى على هذه المعارضة بكلمة واحسنة
اذ قال ان مستر ماندي بد استطاع مظانه ان يحرق العمال عن
المطالبه بزيادة الاجور والمكبر في الاسراب الى التفكير في الدين
والمثل الأعلى وما ينتظرهم في العالم الآخر من نعم عظيمة لا تقاس
الى جاسها وباد . الاجور . ففي دعوه المشر الأمين وتأييده
القضاء على المعصيات . . وكانت هذه الكلمة فصل الخطاب اذ
لقى المشر الأمين تأييدا جماعيا من رجال الاعمال في مدينة رينيب .
فاكتسبوا فيها بينهم بأربعين ألف دولار لارسالها الى مستر ماندي
أجرا له على دعوه الناس الى الهدى والإيمان .

وفي هذه اللحظة كان البشر الأمين يلتقي عظته وهو أشد إيماناً
 بما كان لشورده نان في جيبه اربعين ألف دولار .
 وكان يقول بأسلوبه العريد الذي تعلمه من الملاكمة .

- في هذه المدينة جماعة من البهائم الذين يدعون العلم يرمعون
 أبى دجال قس . . هؤلاء الكذابون المنافعون ليسوا علماء ولكنهم
 سعة ورعاع ووعاد . . أنهم عصابة من المهرجين السفهاء . . أنهم
 لصون . . أنهم مجرمون . . ولو أبى رايت أحدهم الآن لهشمت
 أنفه وفدت عيه ورسلت الدم من وجهه . . أنهم لا يؤمنون بالله .
 وفي هذه المدينة جماعة من التسيبان المهرورين الميوسين
 الذين لا هم لهم إلا معارلة الغنيات ويا ليسهم يحسون المعارضة
 كما لنا - أعتقد كما يحسها بعض الناس - أوعاد . . حثالة .
 أسبل من حطت لأرض . . أمانيهم غافلات عن ربهم . مصرفات
 إلى المساك . . وأباؤهم مصرورون إلى الضيقات . . عابن هؤلاء
 الأوعاد . . أفبكم من يرمي بالدجيل . . والله لو جرؤ أحدهم
 على أن يقول ذلك في مواجهتي لدقمت رأسه ولاشئت أصابعي في
 عنقه . . هيه . . اليس فيكم معار من . . اليس فيكم منازل . .
 لقد دعوا كالأنفال الأدياء . . فلا تعصوا به الناس إلى العادورات
 التي تندق من أرواحهم وإنما اعنوا إلى كلمة الرب . . كلمة
 الرحمة والحنان »

- ٤ -

في هذه اللحظة في مدينة زيت كان السياسي الخرب الدمة
 جاك وفات وصديقه هرتي تومسون في خلوة بنداولان .
 « آل اوعات

- الموم ان نفرتي سهرك الإبله بايت بالمهاجمة معنا . .
 بابيت معروف بالشرف والاستقامة . . فاداً ساهم معنا سترنا وظن
 الناس ان صفقات محترمه شريفة . . وأنى لأسائل نفسي من اليوم
 الذي لا بد ان نكشف فيه الفضيحة . . سنظل في أمان ما دام
 جورج بابيت وأمناله يحموننا باستقامتهم . . اسمع يا هانك . .
 ان المدينة الآن تقدم إلينا بعضتي سياسياً عظيماً كل ما تشتهي
 النفس . . ولكننا سنقلب علينا اد' ما أثارها ندبا هذا الاشتراكي
 المحنر سينيكا دون . . فيهاء سينيكا في المدينة خطر علينا . . فاما
 هو واما نحن .

وقرأ أوقات كفيه سرورا وقال :
 - السياسي يا عزيزي هناك رجل لا يطمع في شيء إلا ظفر به
 نفوذ يملأ خزانته بالمال ومعدته يأنسها الطعام .
 وفي هذه اللحظة في مدينه رنبت كان هناك نحو اربعمائة
 الف شخص يعطون في النوم . وفي اطراف المدينه شاب بحث عن
 عمل سنه شهر كامله فلما اعياء البحث فتح صندوق العنازل
 وانتحر هو وزوجته وطلعه الرضيع .

وفي هذه اللحظه في مدينه ربيمه كان الشاعر يويد ملام يظ
 تصيده يتحدث فيها من جمال الحياه وسحرها الخالد .

الفصل الثامن

٩ -

اعظم حادث في تاريخ بايت في هذا الربع سراه سراه منطقه
 كبيره من الاراضي والبيوت لحساب بعض موظفي الحكومة المحضين
 بالمواهب . . وذلك قبل ان يفتنوا بسعة رصيده وسبع الشوارع
 في المطمعه التي تم فيها التراء . فاذا ما شرح هؤلاء الموظفون
 (بصفتهم ممثلي الحكومه) في بزغ ملكيه الاراضي فسينزعونها من
 انفسهم وقدروا لها ثمن مرتعا دون ان يدري احد انهم اصحابها
 اذ ينتسرون وراء بايت .

اما الحادث الثاني الاعظم في تاريخه فهو الماديه التي اتوى ان
 يقيمها والتي وصفتها لزوجته بابها ليست عملا اجتماعيا محسبا
 وانما وسيله الاتصال بتع من اذكياه الرجا والنساء .

كان من عادته بايت اذا دعا الى مائدته اربعة اشخاص ان يفكر في
 كيفية تسيب المائدة يومين على الاقل . . معاياك اذا دعا اثني عشر
 شخصا في هذه الحاله تراه مذهولا مذهوشا اذا حاطبته لم يسمع
 واذا سألته لم يجب واذا تكلم على عبارات مقتضيه لا معنى لها .
 وفي خلال اسبوعين كاملين حمل بايت وزوجته يفكران . .
 ويتجادلان . . ويفران الف مره في قائمه المدعوين .

- اني اري ان نفعو الشاعر شان فريك . . انه رجل مدهش
 يربح من بضعة سطور ١٥ الف دولار في العام .

فكانت زوجته : وما رايك في دعوة هوارد ليتل فيلد . لقد
 انبأني اونيي مند ايام ان اباهما يتكلم ثلاث لغات .

- وأي عجب في هذا ؟ أتى أنا أيضا انكلم ثلاث لغات - اللغة الإنجليزية ، ولغة البوكر ولغة الياسبول .

- لا يليق بك ان تمزح في اوان الجد .! ما اعظم ان يتكلم المرء ثلاث لغات . ولكن الشيء الذي يدهشني اصرارك على دعوة اوريل جونز . وصانعو المدعوين ليسوا من طبقتك .

- ان لاوريل مستعبدا مبترا .

- اني اعرف ذلك . ولكن لا تنسى انه صاحب مفضل للثياب .

- لا انكر ان المصل لا يتفق قدرا مع الشعر او العمارات . ولكن اورد مع هذا رجل موسر . وهو فضلا من هذا واسع الاخلاق . . بصوري انه يعرف كل ما يختص بالحدائق والاشجار وحتى اسماء النباتات يعرفها باللغة اللاتينية .! فضلا عن هذا فقد دعانا جونز من قبل فيجب ان ندعوه بدورنا . وما دنا قد دعونا ندرا من رجال الفنون والآداب فلدع الى جانبهم رجلا من المولعين بالحدائق ليكون الحديث بينهم موزعا .
فغالت مسر يايت:

- وهذه المناسبة يا عزيزي دعني انبهك الى انه لا ينبغي بمرء الدار ان يحتكر الحديث لنفسه . . افصح للمعويك فرصة يتبادلون فيها الحديث .

- حقا .! يريدون ان سببني الى ذلك ،! انا احتكر الحديث لنفسي .! فلما اني لست دكتورا في الفلسفة مثل لينل فيلد . . ولست شاعرا مثل شام مريك . . ولكني محدث بلوع .! تصوري ان شام مريك جاءني في الاسبوع الماضي في النادي وسألني رايي في سندات سريجفيلد . . وهل تدوين من الذي اجابه واشيخ فلتنه .! انا .! نعم انا .! وكان سجيلا بان بنصت الى . . اني اعرف واجيى كرب للدار . . اني اعرف واجيى بصفتي مصيف . . آني .

- ٢ -

في صباح يوم المادبة كانت مسر بايت حادة الخلق عصبية المزاج لا تستقر على حال .
وقالت لزوجها :

- اسمع يا جورج . . يجب ان تعود الليلة في وقت ميكر ليتسنى لك ان ترتدي ثيابك .

- هيه . لقد قرأت الآن في الصحف أن المجتمع الكنائسى يريد أن يقوم بدعاية واسعة النطاق ضد الاشتراكية . وهذا فى رأى . . .
- جورج أ اسمعت ما قلت أ يجب أن تعود الفيلسفة مبكرا لترى نيكى .
- أريدنى نيكى أ يا للشيطان ! ولكنى الآن مررت لياى فعلا أ أحسبت انى سأذهب إلى عملى فى قميص النوم أ
- لا يبق يا جورج أن تردد هذه المسخافات أمام الأولاد أ يجب أن تردى جاكيتك العشاء
- لعنك تقصدين الجاكيت ذات الدبل الطويل الشبيهة بالذئاب القروء كما يصنعها أبوك وجدك . . صدقنى أن هذه الجاكيت هى شر اختراع أخرجه امريكا . . انها . . .
واستمر بايت ثلاث دقائق كاملة يطلق لسانه فى جاكيت العشاء وينعنها بأفصح الالفاظ . واختتم محاضره بقوله :
- فى الواقع لست أدري اذا كنت سأردىها أم لا .
ولكنه نطق الصارفة فى لهجة تمل على أنه سيقردىها .
وقالت مسز بايت :
- اياك أن تنسى يا جورج أن تمر بالطوائى ليكى فى هودتك إلى المنزل لتأكل معك بالدندورمه . فإن حرية التوزيع معطوبة وأخشى أن يتأخروا فى أوسالها عن الموعد المحدد .
- حسنا ! ولكنك أخبرتنى بهذا قبل الفطور !
- هذا لاني لأريدك أن تنسى . . سأفنى سحابة النهار منهمكة فى تدريب الحادمة الأصابع التى أتنا بها .
- كلام فارغ ! ما الذى يدموك إلى استئجار قناة اضافية !
ان مايلدا تستطيع بكل تأكيد أن . .
- وسأبهمك فى شراء الأزهار وتبقيها وأعداد اللوز المطبخ وتقديم الطعام لأولاد فى المطبخ . ولهذا لا مغر لى من الاعتماد عليك فى الذهاب إلى ليكى لأحضار الدندورمه فى عودتك إلى البيت .
- فهمت أ سأذهب وسأأتى بها معى !
- ليس عليك إلا أن تدخل إلى المحل وتقول أنك تريد الدندورمه التى أوصت عليها مسز بايت بالأمس .
وفى الساعة العاشرة اتصلت به زوجته تليفونيا وأوصته بأن لا ينسى الدندورمه !
ومندما رد سماعه التليفون إلى مكانها أخذ بإتال نفسه مما إذا كان قد ألب العشاء فائدة تعادل كل ما يصحبها من عناء ومشقة ! ولكنه نسي متاعبه وهومعه فى غضون المفامرة المثيرة التى قام

بها لشراء بطع زجاجات من الخمر البيرة . الا اضطر ان يفتش
بسيارته حيا من الاخياء الحقيرة على مرأى من رجال البوليس
الذين كانوا كلما ارسلوا اليه بصرهم تصيب جيبه عرقا . كما قابل
جماعة من رجال المصائب الذين جعلوا يتعمرسون فيه في شك
وربة وهو يعلم ان السدس هو الحكم الوحيد عندهم في حالة
الشك ! ولكنهم اقتنعوا اخيرا بان الذي اوفده اليهم هو جاك اوقات
السياسي المشهور الذي تؤيده المصائب أثناء الانتخابات فيحجبها
بعد انتخابه ضد سطوة القانون . فقدموا اليه ما طلب من زجاجات
الخمر بمر الزجاجة الواحدة حصة عشر دولارا . فدفع بايت
الشن صاغوا بعد ان اعترض اكثر من مرة .

وما دخل بايت ذلره حتى ابتذره زوجته بقولها :
- جورج .. هل بيت ان تذهب الى فيكيا لتحضر الدندورمه ؟
- اسمعي .. هل النسيان من عادتي ؟
- نعم غالبا ..
- بل نادرا .. ومع ذلك فاني لاحب ان اذهب الى محل فيكيا
مرة اخرى لانظر الى العبات النسيبات بالصاريات وهن يطلن
الشقاء بالطلاء الاحمر وينظرن الى في حراء وقحة .
- هذا لا يليق بك يا جورج . لقد لاحظت منذ زمن طويل انك
تكره ان تنظر الى العبات الحملات .
وصعد بايت الى محله فابدل بيانه ولوندي جاكته الخضراء
ووقف امام المرآة يتأمل هتة ويقول :
- الحق اني لست فبح الصورة ولست منا .

وفادر محله بمر في رشابه اسرج الكرستل . ولما حدث
هتة الانواع المحتلقة من الكاكيز والملاعق والشوك والاولاني
والاطباق . ولما رأى زوجه يما تيلدا والحادمة الاساقية را حات
لهاديات امتلات نفسه زهوا وفخارا .

وبعد ان فرغ من مرج الكوكيل واعداده صب لعه كاملا
صغيرة ليتذوقها وهو راسه في اعجاب وقال في نفسه :
- الحق انه للذيذ الطعم .
وتذوقه مرة ثانية وثالثة ورابعة ..
ثم أخذ يطوف بقاعة الطعام ويربي الاكواب من مواضعها مسالمة
لا تزيد على النصف بوصة زيادة في حسر التسيق . وفاجاته
سر بايت وهو يفعل ذلك فصاحت به محذرة :
- اياك ان تلمس شيئا .

- بل سألني هل فيء ؟! الت السيد هنا ؟!
فقد سرى في أوصاله أثر الكوكيل وشعر بمكانته وقلوبه ولم
بعد بحنى شيئا . وأراد أن يؤكد سلطته فقال مخاطبا مائلا :
- اسمي .. ماضع أواني الكوكيل في التلاجة فإياك أن
تقليها .

- نعم .
- وإياك أن تضي شيئا على الرف الأعلى

- نعم .
- وإياك أن ..
ودار رأسه وخيل إليه أن موته يصدر من مكان محقق ؟
وصاح في لهجة امرأة :
- نعم أياك أن ..

وأسرع إلى قاعة الاستقبال دون أن يكمل جملة وهو يقول في
نفسه :
- ترى هل استطيع أن أغري ميرا وليتل قبلد بالذهب معنا
بعد الغشاء إلى مكان فيه مايشير الإصصاب ؟!

ولما انتظم المدعوون في قاعة الاستقبال (وقد تأخر بعضهم
بجما) قال بابيت يضاطبهم :

- اسمعوا لها الإصدقاء .. هل أنتم على استعداد لخرق
القانون .. ؟

فقال الشاعر شأن فريك مجيبا :
- اسمع ناجورج .. أتى من أنصار القانون ولكني أعرف أن
البرج سانس مجرم عتيق وهو أكبر مني وأقوى . فإذا حاول أن
يرغمني على خرق القانون معه فأظن أنه لن يكون لي وسمي أن
أخالفه ..

فضحك جانش وقال :

- أتى على استعداد لأرغامك ؟
فقال فريك مسترسلا :

- مادام فريج وجورج يعمران على ذلك فسأقل صياحي
إلى الحجاب الأيسر من الطريق لأن هذه فيما اعتقد هي الجرسنة التي
وشمران إليها .. ؟

وضح الحاضرون بالضحك وقال بابيت :

- كيف استنحت ذلك بأشام ؟ على أية حال أنتظر حتى أتكم
بمفاتيح السيارات ..

ورجع بعد برهة يحمل أواني الكوكيل .
وهتف الحاضرون برحبوس به . . ووقف فرنيك قائم قصيدة
صغيرة اهتف فيها بالحاضرين أن يشربوا ويشربوا ليروا في نשותهم
اعذب الأحلام .

والواقع أنه نظم قصيدة في اليوم السابق يدعو فيها إلى الإقلاع
عن الخمر لأن في الاستمساك بالفضيلة مثل أعلى وفي الملل الأعلى
اعذب الأحلام .

والقصيدة التي نظمها بالأمس منددا بالخمر هي بعينها القصيدة
التي قامها الآن مجددا الخمر . مع فرق واحد هو قوله « لا شربوا
الخمر » بدلا من قوله « لا شربوا الخمر » .

وفي أثناء الشراب احدثوا يتجادلون في هل من الأسوب تحريم
الخمر أم إباحتها . وقال بعضهم أن في التحريم اعتداء على الحرية
الشخصية . وقال آخرون بل أن فيه حماية للإنساج الوثنى
بإتقاد العمال من ويلات الخمر . حتى توامر قواهم على الإنتاج .
والقي الدكتور هوارد ليتل فيلد كلمة كانت فصل الخطاب
إذا قال :

— أن في التحريم انتهاكا لحرمة الحريات الشخصية وأن الإباحة
أفسادا لقدرة العمال على الإنتاج . فلو أني كنت مشرعا لسننت
قانونا لا تعرض فيه للخدم وإنما تعرض فيه للتأديب . مسهم . .
كان ممكنا أن يسن قانون يحمي العامل ضد الخمر فلا نتاج له
تناولها . وفي الوقت نفسه يضمن حقوق الإنسان ولا يعتدي على
الحرية الشخصية ، وذلك بأن يسمح الخمر لأمثالنا .

وهتف الحاضرون إعجابا بهذه النظرية القلة .
لم دخلت ماتيلدا تعلمهم بأن مائدة المشاء أعدت .

- ٣ -

لم تكن الصلة بين الحاضرين وبين الشاعر فرنيك معدو صلة
الجوار على اعتبار أنه أكثر الصبران استعناؤه لأدوات تنسيق
الحديقة أو تشذيب الأشجار فلم يكونوا يعرفون من أمره إلا أنه
شاعر عظيم يعيش في جو من الحال والغموض . ولكنه القلة
كشفتهم من نفسه على ما لم يخطر ببالهم إذ قال :

— هناك مشكلة عويصة لا أجد لها حلا . لقد عملت إلى شركة
سيارات « زيكو » ناس أنظم بعض الإبيات أطلنا من سياراتها . ولم
أوفق حتى هذه اللحظة إلى شيء يعول عليه . . ربما ظننتم أني

الاشعار العاطفية من امثال : « قليلنى فاني احبك » . او « ما جعل اليوم الذى افضية بين الاطفال » ربما ظننتم ان هذه القصائد هي اشق انواع الشعر . ولكن هذا خطأ . فان ترويد المرافف في القصائد العاطفية عادة لامعوبة فيها ولا سبيل الى الخطا في تناولها . اما القصائد الصناعية فنستمتع على اكثر الشعراء مرانا . المعروف من هو الشاعر الامريكى الصغرى ؟ . انى احيل اسمه ايضا . ولكنى اعرف على الاقل انه ذلك الشاعر الذى نظم القصيدة التى تعلق بها شركة التبغ عن سحائر « البرنسي البرت »

فقلت مسز سوانسون :

— كنت احسب الشعراء يمينون في جو من الخيال .

فضحك فورتىك وقال :

— ان الشاعر هو اعد الناس عن الخيال والمعوس . . ان قرض الشعر انه يعمل الى لا يقل في اضطراره واتساقه من بركات الاصابع على حروف الآلة الكاتبة . لعل لدى احدكم امة فكرة من اعلان عن سيارات « زيكو » ؟

وتبادل الحاسوب بظراب الاسف والاعتذار اذ هل يتاح لهم ماجز عنه الشاعر العظيم !

الفصل التاسع

- ٩ -

كان بابيت شديد الولع باصدقائه ولا يتفك بقول لهذا : « عليك بهذا ادخوت » ولا ينك بقول للثاني « ان هذه الكريمة للديدة جدا » ولكن اثر الكونكبل مالبث ان تبدد معقد جلده ومرحه وعراه الوجوم . وضاعف من الاكتئاب الذى يسود المادبة ما تار بين الزوجين سوانسون من مشاحنة .

بعد الزوجان سوانسون اصدق مثال للزوجين المتنازعين . فكل منهما لا يبالو جهدا في انتعاد صاحبه ولا يقتعدان في ذلك حتى امام الاقارب .

والتمت ادى سوانسون الى بابيت وقال :

— اسمع يا جورج . . ما رايت في هذا العستان التبيح الذى وردبه لوبيا . ؟ ألا تعتقد انه افبح ماوقعت عليه العين . ؟ فقال بابيت :

— ماذا دهك يا ادى . ؟ انى اراد فستانا جميلا .

وقالت مسز بابيت :

- أنه قستان جميل بامستر سوانسون .

فقال لوتيا في عصب:

- أرايت أيها السيد الماتق الجبر في الأتراء ؟

فقال سوانسون:

- فليكن .. أتى على الأقل خير في الثمن الذي ادفع ..

ما الداعي إلى شرائك قستانا جديداً ودلائك غاص بالفساتين .. ؟

الأتريين في هذا اسراعاً لأمير له .. ؟

وتطع بابيت هذا التنازل بقوله :

- ألم تذق هذا اللون بالذي .. ؟

ولكن كلامه لم يهدئ بورة التنازل . فما لث أن رجع الزوجان

إلى تبادل هذه العبارات وأمثالها .

وشعر بابيت بالصجر والسامة وكره جميع المدعوين وراى

فيهم قوماً نارعى الرؤوس . قوماً لا يصلحون لشيء .. في مطهرهم

عابدل على أنهم من عظام الناس . فإذا ماخيرهم أمراء انكشبت له

من نفوسهم بواحي تدل على الحنارة والمألة . فهذا شاعر يحبه

الناس بعيش في جو من الحبال والإحلام فإذا به كالألات الميكانيكية

في إنتاجه .. وما الوحي الذي يهبط عليه إلا اكذوبة ملفقة ..

وهؤلاء جماعة من عماله المدته وجابريها الدرس بقضور سد من

حدته على رمام الصناعة فيها . يحسهم الناس متزينين وفوريين

فإذا بهم لا يتخرجون في حديثهم عن استعمال لهجات الرعاع وترديد

لكات الصدايك .. ؟

ولولا واجبات المجاملة لبس بابيت واقفاً وانطلق هاربا ليلوفاً

بمخدعه .

ولما فرغوا من الطعام انتقلوا إلى قاعة الاستقبال واخرج

أحدهم أن يلصوا الريدج . ولكن بابيت لم يجد في اللمة ، على

الرغم من محاولة الحفظ له ، ما يشير اهتمامه .

بل حتى لوتيا سوانسون لم تطع في المرة اهتمامه .

لا ينكر أحد أن مسز سوانسون جميلة مريحة وفيها نزعة إلى

الاستهتار وإذا عزلها أحد لم ترده خائفاً . وهي لم تعد الثلاثين

وإن كانت تبدو أكثر شباباً من هذا .

ولما سم بابيت اللصب جلس إلى جوارها على الأريكة وقال

بضاطها :

- أنك جميلة اللبلة بالوتيا ..

- حقاً .. ؟

- ان ادى قبحا يلوح حائق عليك .
 - لقد بدأت اسأله .
 - اذا سمعته يوما من الابام فادكرى العم جورج واته على
 استعداد لان يؤتى وحدتك .
 - اذا هربت يوما من بيتى فالحال البك .
 وطابت هذه المعازلة لبابت فاسترسل يقول :
 - ألم ينسك احد من قبل بأن لك يدين جميلتين ؟
 فنظرت الى يديها وضحكت .
 واقترحت مسر فريك ان يمعوا السهرة في استحضار
 الارواح وقالت ان زوجها بارع في هذا الفن .
 وانتظم المدعوون حلقة واطفئت الانوار وامسك كل واحد يد
 جاره . وشعر بابيت بقبلة وهو قاض على يد مسر سواسون
 وضغط يدها في شدة ثم خجل من نفسه فربت باصابعه على فخذها
 ليثبت لها انه لم يرم بصفطته الى شيء معين .
 ونجاة سمعوا نقرا على المنضدة فحملقوا في الشامر مرسك .
 وعلى الضوء المنبعث من الردهة راوا يديه ساكنتين على ركبتيه .
 وصرخت مسر جاش ففزوا جميعا .
 وتكلم الشاعر قائلا .
 - من يريدون ان استحضر ؟ نابليون ؟ شكبير ؟
 فقالت مسر اورفيل :
 - استحضر روح دانت . لا انصرف من هو دانت يا اورفيل ؟
 وبعد قليل سمع الحاضرون نقرات متتابعة على المنضدة وسفها
 كرنيك بانها لعه الارواح . واحد يصغر معنى هذه الخططات . وكان
 نحوها يحيه من روح دانت الى الحاضرين وسروره ببقائهم .
 وكان الحاضرون يتظاهرون بقلة الاكتراث ، وبان الامر لا يخرج
 عن مجرد الدعابة . ولكنهم في اعماق نفوسهم كانوا يتساءلون عما
 اذا كان الامر جدّا ام مزاحا .
 وفي غمرة الظلام صمط بابيت بد لوتيا . وللمرة الثانية لمس
 فخذها باصابعه ليطمئن بانها لا يقصد شيئا وانها كانت ضفطة
 بريئة .

- ٤ -

عندما أضيئت الانوار التفت احدى النساء الى زوجها قائلة
 - الا ترى ان موعد الانصراف قد حان ؟

وللمرة الاولى في حياته لم يحاول بانيت ان يستقي ضيقه بل اعد كان على العكس من ذلك يسائل نفسه من لحظة لآخرى :

« لماذا لم ينصرفوا ، لماذا لم ينصرفوا ؟ » . ولهذا تنفس الصعداء عندما رآهم يتناهبون للقيام . وما اوصد الباب وراءهم حتى تناوب اكثر من مرة . اما ووجته فكانت على النقيض منه مشرقة الوجه ، واقيمت عليه قائلة :

« كانت سهرة بدیعة ، اليس كذلك ؟ » اذ انهم كانوا منهجين .
الا تظن ذلك ؟

ولم يكن بانيت يظن ذلك ، ولكنه لم يجزؤ على ان يكتشفها بوابه حتى لا بعد مرتها اذ كانت في هذه اللحظة شبيهة بالاطفال فقال

« طبعاً . . انها احبل ماديه في هذا العام .
« والعشاء ، االم يكن الطعام اللذيذا ؟ » لمي اعتمد ان الكناكيت كانت لذيذة جداً .

طبعاً . اني احب الكناكيت المشوية .
« والحساء ، االم يكن اللذيذا . »
« طبعاً . . طبعاً . ألد حساء مدوفنه في حياتي .
ولكن كانت تنفس صوته الحماسة . فتمرست روجنه في وجهه وقالت :

« ماذا ا طرح عليك انك لم ستبح بالمادبة ؟
« انا ؟ لقد اسهبج بكل تأكيد .
جورج . ا عاذا بك ؟

« اظن اني مصب مموك القوى . . ارهقت نفسي بالعمل في المكتب . واطن اني في حاجة الى القيام برحلة لاسبب شيئاً من الراحة .

« االم تقل لي اننا ستذهب الى « مين » بعد بضعة اسابيع ؟
« هيه . .
ورأى ان يقتسم الفرصة ليلقي اليها بما في نفسه في شيء من الصراحة فقال :

« ميراً . ا اظن انه يحس بى ان اسبقكم الى « مين » .
« وهذا الرجل الذي تنوى ان تقابله في نيويورك بشار الصفقة المراد عقدها ؟

« اى رجل . . آ . . طبعاً . . هذا الرجل . . ولكن المسألة

قد انتهت .. أتري أريد أن أذكر بالذهاب إلى مين لانسلي بصيد السمك .

وضحك ضحكة عصبية مضطربة .

— ولم لا ؟ إن في وسعنا أن نذكر بالذهاب وندمع البتة في رعاية ماتيلدا وفيرونا .. متى تحب أن نساير ؟

— أظن أن .. لقد شعرت شعبي في الأيام الماضية وأظن أنه يحسن بي أن أسافر وحدي .

— جورج ! إنك لا تريد أن أرافقك ؟

وأجبت المسينة بالنسقاء والنعاسة .

— أتري طمعا أحب أن تصحني ؟ قصدت أن أقول .. قصدت

.. أني أقصد أنه يحسن في بعض الأيام لمن كان مثلي مرهقا . عمل أن يخرج قليلا على عاداته المألوفة . ففي الشدود ما يريح الأعصاب كما حول علماء السري .

ثم أودف في لهجة ودية .

— وبعد ذلك يمكنك أن تلحقني بي مع الأولاد

وابتسم في وجهها .

وحملت مسرعا بايت في وجه زوجها وغالت في حزن :

— هل أريد عليك عطفك عندما أرافقك ؟! ألا يضاعف حدي

من مسرك وابتهاجك ؟

وتهدمت أعصاب بايت .. وفجأة عرته بوبة هتيريه فصاح

في صوت شبيه بهويل الأطفال :

— نعم .. نعم .. نعم .. نبالى ! نعم .. إن وجودك يضاعفه

من مسرتي .. ولكن ألا يهمين ؟! أتري محطم الأعصاب ! أتري برك

القوى ! يجب أن أعسى نفسي ! أقول لك أنه يجب أن .. أود ..

لقد سئمت كل شيء وكل الناس ! يجب أن ..

ولفهمت مسرعا بابتهاج .. وخفت إلى حمايته وإيقاظه فقالت :

— ولم لا ؟ طمعا يجب أن تعنى نفسك ! يمكنك أن تسافر

وحبك إلى مين .. ويمكنك أن تستحب معك بول ! إنكما مولمان

بصيد السمك فلم لامضيان وقتا سعيدا ؟

وربتت بيدها على كتفه . وادفقت تقول :

— وألآن أصعدك إلى مخدعك ونم ملء جفنبك وسأولى أنا

أفلاق النوافذ .

وعلى العراش رقد جورج ف. بايت .. مرت به دقائق ..

بل ساعات .. بل أجيال لا نهاية لها .. وهو مستيقظ لا يغمض له

جهن وقد اشتعلت بدنه رعدة جارفة وهو يفكر في أنه ربح المعركة
وطغر بحريته . واحد يسائل نفسه في حيرة وارتيال عما يفعل بهذه
الحرية المجهولة التي لم يتذوقها من قبل .

الفصل العاشر

- ١ -

ذهب بابيت وزوجته الى زيارة بول ريزلنج وزوجته ريبلا
وريبلا امرأة شعراء عصبية المزاج همما التنديد بمن تمردا
ورسبهم بالتأليب والصوب . ولكنها في تلك الليلة كانت شديدة
التحفظ فاعتقت بان وصلت اورميل جونز بانه حمار لا يفقه شيئا
وقالت عن سر فريك ان لها في النساء صوتا شبيها بدوي
السبارات . اما المحترم اوتيس ديبيل عمده فريشيت والمرشح لعضوية
البرلمان منعته بانه معنوه فارغ العمل . وكان هذا صحيحا .

وجعل زوجها وبابيت يتصان الى حديثهاولي وجهيهما دلائل
البلاهة والصجر وصرحت سر ريزلنج بحبها الخاد قائلة :
- ما بالكم واحمين ! هات قيثارتك يا بول واعزف لنا .
وساحاول ان ادغم جورجي على الرقص على شريطة ان لا يضمني
الى صفوة بشدة .
اما بابيت وزوجته فكانا فريسنى القلق اذ لم بينهما الصاق
صرى على ان يحاولا انتزاع بول ريزلنج من برائن ريبلا لتأذي له
بالسفر الى مين وحده دون ان يصحبه .
وقالت مسر بابيت وهي تبتسم :

- ترى هل ينهك عمل النساء المرهق بول كما ينهك زوجي .
وأثارت هذه الكلمات ريبلا اذ ذكرت باهانه لبها من زوجها .
او اذا ما ذكرت ريبلا اهانه قامت الدنيا وصعلت ولم يجرؤ احد على
كانها :

- ينهك العمل ؟ كلا . . ان العمل لا ينهك وانما يجعله مجنونا
عنهوا . ! انكم تظنون ان بول رجل عاقل رشيد وهو يجب دائما
ان يتظاهر بانه الحمل الوديع والضحية المسكينة ولكن الواقع انه
منيد كاليفل ! لو اذك شسمعه لتبينت ما اقول . ! سنكتشفين مبلغ
ظفه ودمائنه . ! يتظاهر بالوداعة ليظهر بما يريد . . اما انا فيقال
حتى اني متجبره مستبدة واتى عصبية المزاج واتى اتركه مرهقا
بالعمل واسافر واجول . ولكن ماذنبى اذا كان ماني ان يسافر
اذا ان يتريض . . بالامس رفض ان يذهب الى السينما لان بطرية

السيارة فارغة . والفلطة غلظته مع ذلك . ما الذي اقترده من الذهاب الى الجراج وملء البطارية . وهل من الماز ان يذهب الى السينما في الاوتوبيسى ؟ . وأخيرا وبعد الحاج ذهابا . . والتقى بكمارى وقع ومع ذلك لبث بول ساكنا لا يتحرك ! .

« كتب على الامرير انتظر ان ينزحرج الواقعون امامى لاصعد الى السيارة فصاح بى هذا الكمسارى الحيوان : « هيا عجلى . » تحركى . ! « يا الهى . ! لم اسمع فى حياى احدا يحاطبني بمثل هذه اللهجة . . طئنت انه لا يوجه الى الحديث وانما يقصد سواى » والتفت اليه فى دهشة وقلت وكانت كلمائى بمنتهى الرقة والادب : « اتحاطبني انا . ! » ولكنه استمر يكلمنى بلهجة الوقتة قائلا : « نعم كنت اخاطبك . . انك تعوفين السيارة عن منامبة سرها ! . . » وانكرت انه صعلوك حقير لم يتلق شيئا من التهذيب وان الرقة معه لا تجدى . ولكنى قلب له : « معلومة ياسيدى : اظننى لم انصل شيئا من هذا القبيل . . ان الواقعين امامى هم الذين يابون ان ينزحرجوا ! ومع ذلك فدمنى احبك ايها الشاب انك صعلوك حقير وانك وفح جريه وانك لست مهذبا ! ولا بد ان اشكوك لتماقب على اجترائك وحق سيدة محترمة ! يا الهى . ! تفقدك الخمر عقلك فتفيسنى . ! اتى ارجوك ياسيدى ان تحفظ عبادوراك لنفسك . » ولما اقيمت عليه هذا الدرس انتظرت ان يتحرك بول وان يثبت انه نصف رجل ولكنه لم يحف الى بجدي بل جعل يتظاهر بانه لم يسمع كلمة واحدة . فالتفت اليه وقل : « بول . . اهان امامك وانت . . »

وكان بول وبابيت وزوجته يصغون اليها فى صمت . ولكن بول لم يطق صبرا فومجر قائلا :

« اسكتنى ! . اسكتنى يا زبل ! . ان الدنيا باسرها تعرف اننى جبان رعديد وانك لارق الناس خلقا . . فاسكتنى بالا عليك ان لا ادعى ! لتحدث فى هذا !

« لا ادعى ! لتحدث فى هذا ! لا ادعى ! لتحدث فى هذا ! ليت الناس حرفون كم مرة سكت واغضيت . !

« ادن اسكتنى فى هذه المرة ولا تكونى ترثارة مزعجة .

« انا ترثارة مزعجة ! . لولاى البت فى فراشك طيلة الليل والنهار نعرف على القيثارة . انك كسول خامل ولا تتحرك الا اذا

« فمك الى العمل . . وانت جبان يابول ريزنج !

« فالتت صبرا بابيت !

« لا يمولى هذا يا زبل . . انك تمزحين طبا .

- انى لا أمزج .. اتى اعنى كل كلمة انطق بها ..
- زيلا . ما الداعى الى اثاره هذا الموضوع ؟ ما الداعى الى
مخاطبتك بول المسكين بمثل هذه اللمحة ؟
- بول المسكين ، لولاى لاصبحنا من المساكين حقا ولانتهى
امرنا الى ملاجى المجرة والغراء انا التى ادفعه الى العمل ، وانا
التي اعلمه الاقتصاد !

ورأت مسر بايت ان تغير مجرى الحديث فقالت :
- اسمى يا زيلا .. كنت احدث انا وجورجى فقلنا ان بولاً
يرهق نفسه بالعمل طول العام وان من الاصناف ان يغير حمة
ايام في احدى الجهات الحلوية للاستراحة من عناء العمل . وقد
الحت على جورج بان يسقى الى مين لم الحق به انا والاولاد .
لما اطرف ان يرافقه بول !

وتبدد ضجر بول وارهف اذنيه لما ينتظر ان تفر منه هذه
الزائرة . وهتفت زيلا قائلة :
- انك سميدة الحظ ! يمكنك ان ترسلى جورج وحده دون ان
ترافقيه .. جورج المجبور البدين المتراهل الحسم ! انه رجل لا يتطلع
الى امرأة .. ولو انه فعل لما تطلعت هي اليه ! ومع ذلك فليست
في دماغه الجدوة ..

فصاح بايت مدافعاً عن كرامته :
- ليست في دماي الجدوة ! والله لو اتى اردت ان ..
ولكن لم يكمل جملته الا انصت بول واقفا وفي وجهه امارات
النمرد وصاح :

- اظنك تمنعدين ان لى عشيقات ؟
- نعم . اتى اعتقد هذا ..
- حسا .. انك انت الجانية على نفسك . قاسمى .. في
تفلال العشرة الايام الماسبة لم اعدم في احدى الليالى عشيقاتى
معها همومى ومتاعى واذا كان في نيتك ان تستمرى على «مناكفتى»
لماستمر على خيانتك وغشك . ولا تحبى الامر شاقا عسرا
فانك قبيحة بلهاء !

حملت فيه زيلا .. وزمجرت .. ولم يعد احد يتبين اللعنات
وكلمات السباب التي تدفقت من فمها !

وفي هذه اللحظة طرا تغير عجيب على جورج فـ . بايت المسالم
الوديع المستكين .. بهان صدقه بول وهو ساكن لا يخف الى نجدتها
فقد العاصفة تتقوس البيت على الرؤوس وهو جامد يتعرج !
ولب بايت واقفا .. وبدا هائل الجسم كالعملاقة الجبابرة !

أمسك بكتفى زبلا في عنف . وتكلم . وكان صوته قاسيا رهيبا !
 - لقد سمعت هذه المظاهرات ! لقد عرفتك يا زبلا منذ خمسة
 وعشرين عاما . وما صنعت قرصة الا رأيتك فيها تحاولين الجبل من
 بول والانتقامي منه . انك لست شريرة ثيعة . فانك اخيت
 من هذا واسوا . انك مجنونة . انك معنوه . ودعنى أبك
 بأن بول اغترف والطف مخلوق في هذه الارض ! ليس في زينيتا
 الا من يبعث منك استغلا لك ضعفك واتوتك للتيل من الناس
 ولتهجم عليهم ! من أنت حتى يضطر رجل مثل بول الى استدراك
 قبل رحيله معى ! انك تعاملينه كأنك مريح من الملحة فيكوريه
 وكليوباترا ! اينها انجماء المعنوه . الا تدركين كيف يهزا بك اهلى
 زينيت ويسحرون منك .

فألت زبلا وهي تبكى .

- يا الهى ! لم يحاطبني احد بمثل هذه اللهجة في حياتي !
 - وهذا صحيح . ولكنهم يتحدثون عنك بهذه اللهجة وراء
 ظهرك ! ودائما انهم يقولون عنك أنك امرأة عجوز سلطة اللسان !
 نعم . انك عجوز سلطنة اللسان !

ولم يكن زبلا تتوقع هذا الهجوم الضيف . فتخلذلت وانكمشت
 واحلثت تبكى ، ولكن باييت لم يرحمها ولم يشفق بها . كان شسبها
 بالمرحل اذا انفجر . . كان شعر ان بول ومسل باييت ينتظران ان
 يتم الانتقاد على يديه .

بكت زبلا وعالت في محاذل :

- انهم لا يقولون هذا ! انهم لا يقولون هذا !

- بل يقولونه وأكثر من !

- لقد كنت امرأة سريرة ! انى آسفة جدا سانشو . اسامعل

اي شيء ' او ' ماذا تريدون منى . ؟ ماذا تريدون . ؟

واحدت الى موقف الصراعة والمدة . . وطاب لها ان تقف

هذا الموقف حتى تستمر المظف بعد ان كانت موضع اللوم والزجر

وقالت باييت في لهجة آمرة :

- تريد ان تدعى بول يسافر وحده الى مين معى .

- وانى لى ان أمنعه : ألم تصفى بانى معنوه حمقاء .

- بل فى وسعك ان تمنيه ! . واذا اردت ان يسافر تكفى من

الانشدق تترهاتك من ان له عتيقات وانهمسافر ليغازل الفتيات !

الا تدركين ان مثل هذه الاتهامات هى الكيلة بأن تدفعه الى حلة

الطريق . يجب ان تكونى أقفل من هذا !

- اسم لك يا جورج انى ساكون عاقلة . أقسم لك انى اعرفهم

الى امرأة شريرة .. اوه . اصبح منى يابون . ! اصبحوا على
جميعا . !

وانتبط بابيت بانتصاره ولما خلا الى زوجته قال لها :
- لم يكن يلحق بي ان اعنف زبلا . ولكن كانت هذه هي الوسيلة
الوحيدة للتغلب على عنادها . يا الهى ! لقد كنت اجعلها تزحفه
على يديها وركبتيها متوسلة خاضعة .
- لقد كنت تشبهها بالوحش . . ولعلك اعتقدت في هذه اللحظة
انك رجل عظيم . !

- طبعا . . ولكن لم تلومينى . ! انى لا توقع منك الا مناصرة
بنات جنسك .

- ان زبلا مكينة وشقية . . ليس لها في العالم الا بول .
ولهذا بخشى ان تعاقبه . ولقد كنت شديد القسوة يا جورج .
ولا يمكننى ان افخر بموقفك .
اما هو فكان فخورا بموقفه .

وكان سعيدا لانه سبافر مع بول الى مين منفردين . . في غمى
ورقة الزوجتين .

- ٢ -

ذهب بول وبابيت الى متجر الاخوان جامس ليشترياما يحتاجان
اليه من أدوات صيد السمك في رحلتهم . وكان بابيت متهيجا ليعاين
متجر الصخر وكان لا يملك بمآرج البائع قائلا :

- انى اريد طعاما يجعل الحوت يأتى الى صاغرا طائما . اريد
طعاما لا يكتفى بان يظل مندليا من السنارة وانما يهبط بنفسه الى
الاعماق ويقبض على السمكة .
ثم يلتفت الى بول قائلا :

- ما اسعدنى بهذه الرحلة ! وما يدريك انى قد اهوى صيد
السمك فاتخلى عن المتاجرة في المعامرات لتاجر في الاسماك !
وعند خروجه من المتجر هتف بملء صوته يقول :
- فليحي السمك ! فليحي السلمون ! فلتحي الحيتان !

- ٣ -

اخذ اكسبريس نيويورك ينهب بهما الارض نهبا وقد اجتمع في
هالويهما نفر من المسافرين . وكان من بينهم شاب دميم الوجه ذو
أنف معقوف التفت الى رجل يدين يجلس بجانبه وقال :
- لقد امضيت في زينت اباما رائة . . ان فيها نساء جميلات
اكثاء نيويورك . وقد تهافتن على واتا لا يالى بهن !
ونظر بابيت الى وجه المتكلم اللميم وهم بان يضحك .

وقال الرجل البدين :

— عندما وقع مصرى عليك أدركت على الفور أنك ما انت النساء
ولحنى المسافرون الصحف التى يقرأون فيها واعتبروها جميعا
فى الحديث معتبرين ان السفر فى قطار واحد هو فى ذاته تعارف
كاف .

وبدا الحديث بالكلام عن المناظر الجميلة التى مروا بها . ثم
انتقلوا الى انتقاد البرلمان الأمريكى وتدخله فى الحرية الشخصية
بتحريمه الخمر . وردد بايت نظرية « هوارد ليتل فيلد » التى قال
فيها أن تحريم الخمر على العمال صيانة لقواهم الإنشائية . وإباحته
لسواهم لا يبعد انتهاكا للحرية الشخصية : لأن العمال كالات
لا حرية لهم .

ثم عرجوا الى الكلام عن التسليح والمنافسة بين الدول فى
الاستعدادات الحربية . ثم انتقلوا الى الكلام عن الأسهم والسندات
واقترح أحدهم تأليف شركة لتهريبه الخمر ورجح أن يرتفع ثمان
أسهمها ارتفاعا عظيما . ثم أخذ أحدهم يتحدث عن طواغيت البلدان
المحتلة والفتنات العنيفة التى نزل فيها وقال الرجل :

— وعندما ملاهت الى شيكاغو نزلت فى فندق « ريلتون »
الذى لا ينزل فيه إلا كبار الأغنياء .
وكان بايت يعتقد أن الرجل كدوب يحب المبالغة . إذ لائتم
ليابه عن الفتى واليسار فقال بمتعنه :

— فندق ريلتون .! اليس هو الفندق المشهور ببراجه
التسعة .!

فقال الشاب مجيبا :

— نعم . أنه هو بعينه .! أن أبراجه التسعة على غابة من
الجمال .! أنها شبيهة بأبراج القلاع . وهى تقوم فى وسط الفندق
على شكل هندسى بديع .
فابتسم بايت وقال :

— يا الهى .! ما أضعف ذاكرتى .! لقد تذكرت الآن أن ليس فى
فندق ريلتون إلا ثلاثة أبراج ، لا تسعة .

فقال الشاب دون أن يدركه الحجل :

— بلى .! أن فيه حقاً ثلاثة أبراج .

ثم أردف فى امتعاض واثقة :

— لقد جعلتنى أخطئ . يا سيدى .

ولم يشأ بايت أن يذكر له أن ليس فى الفندق برجاً واحداً .
واحداً .

وانتقلوا الى الحديث من ارتفاع الثمان التيب دون مبرر. فقال
أحدهم :

— منذ ثلاثة شعور اختيرت ، بتطلونا للرياسة بعشرين دولارا ،
ومنذ أيام اردت شراء بتطلون آخر فاذا بثمنه قد ارتفع الى ثلاثين
دولارا .

وقال ثان :

— وما رأيك في الاحدية وقد ارتفع ثمنها مائة في المائة ؟

وقال ثالث :

— والقمصان والحوارب تضاعف ثمنها ايضا ، وكل هذه نتيجة
لجشع اصحاب المصانع .

فقال رابع :

— وحتى الياقات . .

فقاطعه احد الجالسين بقوله :

— بالله عليك دع الياقات وشأنها . اتي صاحب مصنع الياقات
وامر في السر في ارتفاع ثمنها . انه ليس جشع اصحاب المصانع
وانما جشع العمال الذين تضاعفت اجورهم .

واجتمع رايهم جميعا على ان الثمان الياقات مناسبة جدا . .
ولكن جميع قطع الثياب الاخرى باهظة الثمن بلا مبرر . وانفقوا
على ان جشع اصحاب المصانع هو السبب في ارتفاع الثمان
اصحاب مصانع الياقات فانهم قوم قانعون وضحية لجشع العمال .
ومر في المثلث الخادم الزنجي الخاص بالمركة فناداه احدهم
وقال له :

— انعمل بتسريح في الموعد باترى . . .

— لا ادري ياسيدي .

فلما ابتعد الزنجي التفتوا بعضهم الى بعض قائلين :

— ما اوقع الزنوج ! لقد بدأوا الآن يتطلعون الى الحرية . . .
اسأله من موعد الوصول فيقول انه لا يدري . . باللوفاحة . . ان
الخطا راجع اليانا نحن الذين علمناهم الحرية وقد كان ينبغي ان
يجلدوا بالسياط .

وامتوا جميعا على قول صاحبهم . واتفق رايهم على ان
الديموقراطية الصحيحة تقضي بجلد الزنوج صيانة للديموقراطية
من ان يندمج فيها هؤلاء الزنوج الذين لا يفهمونها . وما دامت امريكا
بلاد الديموقراطية فيجب ان يجلد هؤلاء الامتدال .
وقال احدهم :

— الا ترون ايها الاخوان انه يحسن بنا ان تكف عن الرسميات ؟

لماذا لا يروى كل منا لأصحابه أنظر التوارد التي مرت به . لاسيما التوارد التالية .

- وتركوا الحديث عن الديمقراطية والحرية الشخصية والمنافسة في التسليح وأخذوا يروون الحكايات في صوت منخمس وهم يقهقهون ضاحكين .

ولما أوي باييت الى فراشه في القطار ظل ساعة كاملة مستيقظا وهو يفكر في الحكاية الظريفة التي رواها الايطالي من الارملة المعجوز التي أودت أن تقضى سهرة حمراء وكيف أنها .. وليت باييت مستيقظا ساعتين لاساعة واحدة !

الفصل الحادي عشر

- ١ -

كان للمسافرين الى مين أن يمضوا في نيويورك أربع ساعات حتى يحين موعد المطار التالي . وكان باييت شديد اللهفة الى مشاهدة فندق بانسلفانيا العظيم الذي امتدت شهرته في جميع أنحاء البلاد فمضى اليه ووقف في الطريق يتأمل أبراجه الشامخة وقبائه العالية . وغمض يقول :

.. العان ومائتا غرفة .. والفان ومائتا حمام ! هذا أعظم شيء في العالم . يا الهي .. ان ارباحه لابد ان تكون عظيمة جدا .. وربما لتعرض أن اجار الغرفة يتراوح بين أربعة دولارات وثمانية . وربما حشرة .. أربعة في الفين ومائتى غرفة يساوى .. ماذا .. لابد انه يساوى مئلتا كبيرا .. وهذا الإيراد كل يوم .. طبعا ان رجال الأعمال لي زينبت أدكى من اهل نيويورك . ولكن الفين ومائتى غرفة .. هذا شيء عظيم !

- ٢ -

أخذ القطار يعرق بول باييت كالنهم بين المروج الخضراء والبحيرات الجميلة المنبسطة . ثم شق لنفسه طريقا وسط الجبال العالية .

وجعل باييت يرسل بصره من النافذة وهو متدود مأخوذ . لم تكن هذه أول مرة جاء فيها الى مين . ولكنها كانت أول مرة شعر فيها بجمال هذه المنطقة . كانت أول مرة حضر فيها دونان فصحبه زوجته وأولاده ! وتنهى باييت وقال :

.. يودى أن نقيم هنا مدى الحياة ! اغنى وأصغر وأظلم جالسا طول النهار لا أتحرك من مكاني . ولا أسمع دقات الآلة الكاتبة .

ولا صوت ستان جراف وهو يصرخ في التلفون .. ولا تيد ورونا
وهما يتناقدان .. نعم ، اريد أن اجلس وأنام بقية حياتي .

- ٣ -

مرل باييت وبول في احد الكواح من القائمة على سفح الجبل
وحلما نيب المدينة المحرفة الصيقة واوتديا القميص الرباضي
المفوح المنق والبنطلون الاصفر الفصير ، وخرجا الى البحيرة
قصارا على صعبها وقتا غير قصير يجعلان الطرف فيما حولهما من
مناظر حلالة شاعرين بما اصابا من الحرية .

ونظر باييت الى بول وغمز بعينه وأخرج من جيبه كيسا من
الجلد مطروا ينبغ بمضغ - وهي عادة من عادات الرماع محترمة
في منزل باييت .

وتناول باييت مضقة من التبغ وهو يقول .

- ليس من عادتي أن امضغ التبغ . بل لا احب مضغه ، ولكني
اريد أن اشعر بحريرتي .. اريد أن اشعر بأن في وسعي أن اعمل أي
شيء دون أن يلومني أحد .! هل لك في مضقة ؟

وتبادل الرجلان نظرات جدلة .. كان كل منهما يفهم صاحبه .
وتناول بول المضقة وأحد يلوكتها في فمه وهما يتشدقان وفكاهما
يفرقعان ومن لحظة لاحرى كانا يصقان على الأرض دون أن يبخشيا
ألفاف السجاد وجعلا يتمطبان .. وبضحكان .. ويتشهدان .
وكانا سعيدين !

- ٤ -

كان لديهما اسبوع كامل بمصيانه على افراد قبل وصول
الاسرتين .. وفي كل مساء يتعان على الاستمياط مبكرا ليصيذا
السماك قبل طعام العطور وفي كل صباح بطلان راقدين على العرائش
لا ينهضان الا اذا دعاهما جرس العطور شاعرين في اعتباط بأن لن
تعكر مسو رقادهما زوجة تنزعهما من العرائش انتزاعا ..

واقرب باييت عن خلافة لحيته . فلا يحلقها الا اذا شعر
برغبته في ذلك . وكان يسه في بعض الاحيان أن يدع نقطة من
الربد تنقط على بنطلونه الاصفر او على مرش المائدة مطمئنا الى
أن ليست هناك زوجة تؤبه على ما يعمل .

وكانا بمضيان صباحهما في الصيد . وما بعد الظهر في النوم .
اما في المساء فيسليان بلعب الورق مع الإدلاء حتى منتصف الليل .
واذا ما رجعا الى كوخهما سلوا اليه في غير صلاة واتقين من انهما
لن يجدا في انتظارهما زوجة تتجربهما من الكيفية التي قضيا بها
السهرة .

وفي غضون هذه الأيام ذكر كل منهما زوجته فقال بايت :
- ان ميرا امرأة طيبة القلب . وزلا حسنة النية .
وقال بول :

- هذا صحيح .. اتى لا فكر الآن الا في ان اوامر لها اسباب
المسرات . واشعر بان حياتي من الآن فصاعدا ستكون هائلة موفقة .
- ارجو ذلك يا صاح . وصدقني اتى سعيد جدا بـ وجودي معي
- ان وجودي معك في هذا المكان يا جورج معناه الحياة ..
معناه انك انقذت حياتي .

- ٥ -

في اليوم السابق لوصول الاسرتين قالت صاحبة الكوخ :
- لاشك انكما حينئذ قد قدمتما ..
واضطرب بول وبايت اراء ذلك ان يتظاهرا بالاسياء . ولكنهما
ذهبا في تلك الليلة الى فراشهما مبكرين على غير العادة . كانا
واجمين لانهما بالعمى .

وعندما جاءت ميرا ابتدرتهما بقولها :
- اتنا نريد ان تستمرا هلى ما كنتما عليه كأننا لم نحضر ..
اخرجنا متى شئتما وعودا متى شئتما ولا نعيما وزنا لوحودنا .
وفي الليلة الاولى سهر بايت حتى منتصف الليل يلعب اليوكر
مع الادلاء فلما رجع ابتدرته زوجته في جلد ودعابة قائلة :
- لقد فسدت ايها الولد الشقي ..

وفي الليلة الثانية رجرت في صوت يغاله الناس :
- يا الهى ..! ان نيتك ان تسهر كل ليلة ..؟
وفي الليلة الثالثة لم يلعبه بايت اليوكر .

وفي ذلك الوقت عاوده التعب والإعياء . وقال متذمرا :
- مجا ! ان العطلة لم تغفنى .. لقد أصبحت اشد قلقا
واضطرابا مما كنت !
وامضى في مئة ايام . وفي نهاية الاسبوع الثالث عاوده
الهدوء وطالب له ان ينامس ابنه بيد في صيد السمك . وكان لا يفتأ
يقول :

- ان الحياة جميلة ..! اتى اشعر بانى مقبل على عام عظيم ..!
ارجو ان انتخب رئيسا لنقابة السماسرة بدلا من هذا الفراقتون
شان موت .

الفصل الثاني عشر

- ١ -

في الطريق الى زينب شعر بايث بأنه أصبح رجلاً آخر . .
أثف من المراح والهدر . . وسيفكف من الاستسلام لتأعب العمل .
وسيهتم بما هو أجدي . . سيختلف الى المسارح وسينهمك في
الاطلاع . . وفجأة - حين انتهى من تدخين سيجار ضخيم - عزم
على الاقلاع عن التدخين .

واكتشف طريقة جديدة : لن يشتري تباقا بعد اليوم بل سيقنع
بما يقدمه اليه اصدقائه أو بما يستلمه . . وبطبيعة الحال
سيخجله ان يستلم السجائر . وفي غمرة من الحماسة طوح بطرية
سجائره من نافلة القطار . والتفت الى زوجته وصارحها بما عقد
عليه العزم قائلا :

- الامر على غاية من البساطة . قوة ارادة ليس الا .
وتناول إحدى المجلات وأخذ يطالع قصة بوليسية . ولما ساء
هشرة اميال خالجه رغبة قوية في التدخين . ولاح عليه الفلق وراح
يشتمل في مقدمه . وقرأ من المجلة صحتين لم يفهم لهما معنى .
وبعد خمسة اميال غادر مقصورته ونادى الخادم الزنبي قائلا :

- اسمع يا جورج . . امك . .
وهم بأن يقول « سيجارة » ثم خجل من نفسه فقال :
- امك جدول المواعيد ؟
وفي المحطة التالية اشترى طبة سجائر .
وبعد اربعة ايام ذكر انه اقلع عن التدخين . . ولكنه كان منهمكا
في العمل الى درجة جعلته ينسى انه ذكر ذلك .

- ٢ -

هو بايث لعبة الباسبول لان رحلته الى مين خلقت منه رجلا
جديدا . ولكن بعد اربعة ايام ادرك انها لعبة سخيفة .
وفي كل بيت يذهب الى ناديه الريفي ليلعب الجولف وبعد
اسبوع شتم الجولف .
ونعمى أن يتحقق بتنادي يونيون الذي لا يخطر في سلكه الا
كبار الاغنياء ولما ايقن ان الانضمام الى عضوية هذا النادى
مستحيل جعل يقول :
- لو أنهم دفعوا الى ألف دولار لانضم الى نادى يونيو لا يبت ؟

مالذا ! انه ناد لا يضم الجماعة من الناس يتكلمون في تكلف قلائد
 انى لا احب التكلف .
 وكان يشعر في قوارة نفسه ان يوم الانضمام الى نادى يوبون
 سيكون اسعد يوم في حياته .

- ٣ -

كان مستر ومسر بايت ويتكما يختلفون الى دور المصور
 المتحركة مرة في الاسبوع على الاقل . وكان بايت يزور السيتا
 وما فيها من موسيقى شعبية على الاوبرا المتعجزة ذاب الموسيقى
 العالية التى لا يهيمها حتى عازفها .
 وفي اثناء المرض كان بايت لا ينفك يصيح من لحظة لآخرى :
 - يا الهى ! . عال . عال ! . الكمة في وجهه ! . احذر ! انظر
 خلقك ! ان المسدس محتوا . الى غير ذلك من العبارات التى
 ينسب بها ابطال الرواية الى الاحطار التى تهددهم .
 ان بايت رجل عطفه رقيق الاحساس بما

ولم يكن يحب من الاعلام الا ثلاثة انواع : اعلام القيسسات
 الشبهات بالعاريات دوات السيغان الجميله الظاهرة للابصار .
 و اعلام رجال الصبايات والشرطة ورجال البحر وما يصحبهما من
 اطلاق المسدسات . و اعلام السمان الصحاح وهم ياكلون المكرونة .
 اما مسر بايت فتعصل الاعلام التى تجرى وفانها في قصور
 اصحاب الملايين
 اما نيكا منعصل (وعبارة اخرى يعتقدون انها كانت
 تفضل) الاعلام التى يوسمها ابوها بان تعصلها .

الفصل الثالث عشر

- ١ -

في كل عام تعقد في الولايات المتحدة مؤتمر من السماسرة
 لتوفد عباياتهم المنتشرة في جميع أنحاء البلاد مندوبين عنها لحضوره
 . وكان بايت احد مندوبي عباية بريث . والتقى بايت بـ
 واوتنرى احد المندوبين ورئيس لجنة التنبؤ فقال له :
 - الشيء الذى يضايقى ادعاء المدرسين والوظائف والمحامين
 والاطباء بانهم « فنانون » . ان السماسرة الذى بهم مهنته
 مطالب بان يعرف من المعلومات اضعاف ما يسرقون .
 - صيت . . لماذا لا تعد كلمة في هذا المعنى لتلقبها في المؤتمر .

- ٧٥ -

— يمكنك اذن ان تضم اسمي الى قائمة الخدلاء . والمساءلة في اعتقادي تلحقني في امرين : اولا — يجب ان يعمل المؤتمر على تغيير اسمنا فلا نلقب بالسماسرة وانما نلقب « بتجار العقارات » فهذا يضمن علينا صيغة فنية .. وثانيا — ما الذي يميز المهنة عن التجارة الآله او العمل الآلى ماذا ؟ اوه .. طمعا الخدمة العامة بالتجارة والمعلومات ايضا فالرجل الذي يبيع سلعة من السلع ليس ماهرا ولا يقيم اى اعتبار للخدمة العامة اما تاجر العقارات فيصفته قنيا ..

فقاطعه راوتري بقوله :
— هذا رأى صائب ..! فكرة رائدة ..! يمكنك ان تعد كلمة في هذا المص
واسرع بالانصراف .

- ٢ -

لم يكن بايت ممن يحبسون الكتابة على الرغم من انه كان مطالبا بعبئة قصيدة لا يريد الفاوها على عشر دقائق .

ومع بايت الاوراق على منضدة في قاعة الاستقبال وامر اهل البيت بالصمت والاحلال الى السكون التام . وطلب الى فيروناتيد الانسحاب وعدم الظهور . وهددت لينكا بالضرب ان يدر منها اى صوت . وجلست مسر بايت على مقعد في القاعة متكئة ساكنة تطرز بوبا .

وتناهت الدقائق وبايت جالس الى الورق والمنضدة وجبينه يتصب عرقا وفي وجهه اموات اليأس والفتور وهو يبحث بالعلم في حركة عصبية والتفتت اليه مسر بايت وقالت :

— ليت شعري كيف يمكن ان يتفتح ذهنك عن آراء عالية !
— هذه مسالة لا يفهم فيها .. انها نعمة من سم الحبال الخصب فلا سدحلى بما لا عهد لك به .

وكتب بايت سبع صحائف وكان فحوى ما كتبه في الصحيفة الاولى لا يخرج عن عناصر الخطبة التي سبليها وبعض تخطيطات لا دخل لها في الموضوع وكانت الصحائف الست الاخرى صورة طبق الاصل من الصحيفة الاولى ..

- ٣ -

تقابل السامسة السامرون لحضور المؤتمر في محطة زينيت .
وكاينا نحو السنين . وقد سحب اكثرهم روجاتهم . وكانوا يحملون
املاما كتب عليها :

« نقيب سمسرة مدينة زينيت » وكان يتقدمهم رجل يحمل
علما كبيرا كتب عليه هذه العبارة .
(زينيت مدينة النشاط والنجاح)

(زينيت ام المدن)

ولما ازف موعد تحرك العطار اصطف المندوبون واخذوا يفتنون
قشيدا وصنع الشاهر فريك يتمجد فيه بمدينة زينيت وما ينظر
لها من نجاح عظيم وسنمبل باهر ويور على سائر المدن
وامتلى بابيت مقعلا وصاح يقول :

- كيف حال زينيت ؟

فنهتوا جميعا في نفس واحد :

- انها بخير .

- ما هي اعظم مدينة في الولايات المتحدة ؟

- زينيت .

- ما هي المدينة الخالدة ؟

- زينيت .

وهنف بابيت ثلاث مرات بحياة المدينة العظيمة . ولكنه ما
فئت ان يدرك ان فعلته لا تتفق مع وقاره بصفته مدويا رسميا
لقباب السامسة فنزل عن المقعد ولزم الصمت .

- ٤ -

ابي بابيت عملا عظيما وانما . . امر ببلدته ان تكوى في القطار .
وامر ان يعدوا له الحمام .

اسراف لا يقدم عليه الا اصحاب الملايين .

وتمنى بابيت وهو ذاهب الى الحمام ان يراه جميع من في
القطار . . وتمنى والخدام يحمل اليه البقلة المكونة ان يروه وان
يسرفوا ان هذه بلدة بابيت .

- ٥ -

عقد المؤتمر في قاعة الرقص في مطعم الين . وفي قاعة
الاستقبال كان رئيس المؤتمر جالسا الى مائدة كبيرة وامامه اوراق
وملفات مكدسة ولم يكن هناك نزاع في انه اكثر اعضاء اللجنة

التمسكا في العمل وبلغ من شدة التهامكه في العمل انه لم يعمس
شيئا .

يقترّب منه هذا ويقول له : « ما رايت في كذا وكذا » . فيجيبه
« عاّل .. عاّل .. فكرة رائقة .. » دون أن يسمع شيئا لشدة
الصجة . ويصبح به الآخر : « يا حضرة الرئيس اني اريد ان ... »
فيحس الرئيس راسه مؤمنا وهو لم يسمع حرفا . وبلغ جرس
التليفون ولا يلبى النداء : وتشعل سيجارة ولا يدخنها .

واقامت الغرفة التجارية لمدينة موبارك التي انعمت قديما
المؤتمر مادبة غداء للمؤتمرين . فعقبتها حفلة شاي عند مسر
الروسى بولتون وزوجه احد اصحاب مصانع السيارات عمدت
مواد الشاي في حديثها الايطالية الجميلة . واجتمع الي هذه
الموائد سمنة من اشهر سماسرة الولايات المتحدة حاول تسعير
الاصراب من مسر بولتون ليهر يدها الجميلة في حرارة
وفي ركن آخر من الحديقة اجتمع سماسرة زينيت وهتفوا
بحجور مدينتهم ويسادون بها فوق المدن . واعتلى سماسرة بابويس
المقاعد والموائد وهتفوا لمجد مدينتهم بأصوات اعلى .

ول انصرف المقصرون ساد الحديقة سكون معاجي ، وسهلت
همز كروسبى بولتون وهي تظفر الى سمنانة وردة مبتذلة على
الأرض . والى سمنانة شجرة مهشمة مغمورة الأغصان ، وحانت
منها لفة الى شمال ابي الهول الرابض في وسط الحديقة . فرأت
أن احدهم رسم له شاربيا بالعلم الرصاص . أما الماشف الحربية
الغالية فكانت على الأرض ملونة بالطين . وفي التركة لم يكن الاسماء
الملونة هي وحده التي تسبح وأما كانت تسبح الى حوارها اعجاب
السجائر وتحت بعض المقاعد افداح الشاي محطمة .
وتهدت همز كروسبى .

- ٦ -

ولما اقترب الموعد الذي سيلقى فيه (مايت) خطته وراء
الاصراب وداخله الطلق واحد يزدرد ربه من لحظة لآخرى .
ولكنه استجمع شجاعته حين صعد الى المنصة والى كلفه في
صوت مرمر هادئ التبرات . ولما فرغ هتف له الحساميون
أصغارا به ، في اساء الماشفات التالية كان المجادلون لا يفتأون
وشيروا الى « الكلفة النعمة التي القاها الاح المحترم مستر جورج
مايت » . وفي غضون ربع ساعة انقلب بايت رجلا عظيما بعد أن

كان مشهور الاسم لا يعرفه أحد . . . وأقبل عليه نفر غير قليل من
السامرة يصافحونه ويدون رغبتهم في التمسرف بالخطيب
العظيم .

وفي صباح اليوم التالي أقبل بايت على الصحف يلتمسها .
ولشد ما استولى عليه الابتهاج حين رأى كلمته وصورة منشورين
تحت عناوين بارزة فتمعن يقول :

- الآن سعرف اهل زريت ان بايت رجل عظيم
وبالاجماع انتخب بايت عضوا في اللجنة الادارية للمؤتمر .
فاسرى وجهه وقال في نفسه :

- كنت اوقسه عاما عظيما ! . انك يا جورج لم تخلق الا لعظام
الامور . لقد ولدت خطيبا معوها .

٧-

اجتمع بايت مع نفر من السامرة واختفوا الى احدى
الحانات لتعصبة الوقت . وكانوا جميعا يمزحون ويتساردون
بالقصص والحكايات وقد طرخوا من كواهلهم هموم الدنيا .
وتهد بايت وقال :

- لا علم لى برايكم ايها الاحوان . ولكنى اعتقد انه يجب على
الزوج ان يسافر مرة او مرتين في العام دون ان تكون زوجته في
رفقة بنى في الجبال او على ضفاف البحيرات همومه ومتاعبه .
فقال احد مندوبى سبطه

- انى يا جورج مثال الروح الكامل . وليسكنى لا اكتمك انى
امام في بعض الاحيان الحياة المضطربة التى امسها ، اما في المكتبة
واما في البيت . . . واما في السينما . اليس هذا شيئا لا يطلق
ان الحياة لا تطيب للانسان الا اذا كان عمادها التفسير

لمصاح ووجرز (المسار الذى من زريت) قائلا :
- ما هذه الاحاديث المحزنة . ! المرحوا وابتهجوا ولنفر معا .

- ٨ -

تناول هؤلاء انرفاق المشاء في مطعم حرقى . وقال روجرز
للجرسون الايطالى مازحا
- الديكم طلقا من اذان العيلة . لا
فاجابه الجرسون في وقال
- كلا يا - شى بكل اسف

كلا . يا الهى .! الآن ما العمل .؟ انموت جوعاً .! احضر لى
حيلة طازجة من الطبخ المحفوظة . . لقد صنعت انكم ترزعون
حداثكم فى المطبخ المحفوظة

وقدم اليهم الشراب علنا دون اية مبالاة برجال البوليس الذين
كانوا واقفين فى اركان المطعم
ولما مرغوا من الطعام استقر منهم المزم على قضاء السجرة
فى مهي جاد عنه فى الاعلانات : « انه الملهى الذى ينسى السكاهن
صلواته . »

وابنسم بايت وقال :

- لى فى تيتى ان اصلى الليلة ا

كان مهرج الملهى يهوديا اخذ من اليهود هدفا لدعابته . وقلة
ابدى فى اظهار مثالبهم وميوبهم . فلو اراد اعدى اهداء اليهود الطمن
عليهم لكان حبه ما قاله هذا اليهودى فى مواطنيه
وقدم اليهم الشراب علنا ايضا . مما جعلهم يذكرون انهم فى
هذه التحريم

على ان اجمل ما فى هذا الملهى السيقان العارية الجميلة التى
انحسرت عنها الثياب ، وفى فترات الاستراحة نزلت الرافعات
الى القاعة ورافقس المخرجين ، ورقصت احدها مع بايت فكان
سعيدا وهو يضم الى صدره جسمها اللدن الدافئ ، بل انها هى
التي كانت تصحه الى صدرها خنثية ان يقع على الارض لفرط
سكده ، ولا ارجعه الفناء الى مائدته سالما جعل يقضى فى ابتهاج .

ولكن ابتهاجه لم يطل كثيرا الا قاطعه السمسرو الذى من
مبارته قائلا :

- ان لك صوتا قيحا فكف عن الفناء ودعنى انا اغنى .

وشاحنا ربع ساعة وكل منهما يرم ان صوته هو التيجى .
ولم يصرقا من الشجار الا اقداح الخمر الجديدة التى حملها اليهما
الجرسون .

وقال احد السماسرة :

- ان مونارك اطرف الف مسرة من زيتيت . . فى زيتيت
يستطيع المرء ان يجد من بنات الهوى عددا يعادل البلد الموجود
هنا .

- هذا كذب .! ان فى زيتيت من بنات الهوى ما يزيد عددهن
على عدد من فى الولايات المتحدة كلها !
فيم ادرك انهم استسرجوه الى هذا الدفاح المعكوس وهزأوا

به . فثقب وأراد أن يتشاجر معهم ولكن قلعبيه خذلناه فلك في
قدمه .

ولكن لحسن الحظ ان أسرته لم تعلم بأمر هذه السهرة . ولم
يره وهو على هذه الحال من أهل زينيت الأروجرل ووينج . ولكن
لعلها لم يرياه إذ كانا على مثل حاله .

الفصل الرابع عشر

- ٩ -

في خريف هذا العام رشح الاشتراكي سينكا دون نفسه
هده لمدينة زينيت . . ورشح الجمهوريون والديمقراطيون امامه
وجلا من أصحاب المصانع يدعى لوكاس براوت تؤيده العرفة
التجارية ورجال الأعمال والصحف المحترمة وجورج ف. بايت .
كان بايت زعيم لجنة الدعاية في حي بلورال هايتس . فقد
أكسبته خطابه في مؤتمر الممارسة شهرة عريضة ونمتته الصحف
بأنه خطيب مفوه ذلي اللسان . وكانت الصحف المحلية تنشر
بالخط العربي انباء الاجتماعات التي ينوي بايت أن يخطب الناس
فيها .

وعرف بايت كيف يستهوي الناس الجماهير ويعبر على
الوتر الحساس من عواطفهم ورغباتهم . . ومما يؤكده قولته
المشهورة : « إذا كان الرئيس لنكون على قيد الحياة فلا شك
هندي في أنه سيعطى صوته لمستر لوكاس براوت » وعدد هذه
الكلمة منه بلاغة منقطعة النظير .

- ٣ -

وفي خريف هذا العام رشح مستر هاردينج رئيسا للجمهورية .
فأسمعت لجان الدعاية ببانيت وانخلت منه خطيبها الموهو الذي
مدعو الي تأييد الرئيس الجديد .
وقال بول سخاطيا ديقه القديم :
- ليت شعري كيف تؤانك القوة على ان تخطب الناس ثلاثا
مرات في ليلة واحدة . ! والمريب ان لك في استهواء الجماهير
أسلوبا هذا لا يجارى .

وحيثما يذهب جورج بايت فليحظه عناية الناس وتنتبه
الابصار .
وفي مساء احد الايام دعى الى اجتماع حاشد فرأى ان يدعى

زوجته وأولاده يشهدوا ما كتب له من مجد عظيم وكيف أنه أصبح
من الشخصيات البارزة . ولما فرغ من خطبته أقبل على صاحبه
يقول قائلاً :

— ما رأيك يا بول في خطبتي ؟؟

— لقد ألفت . . استوليت على العقول . .

وحتمت مسر بايت في حماسة قاتلة .

— كنت مذهنب يا عزيزي ! . . ولك نظريات رائعة ! . . الحق

أني لم أعرف ذكائك وحضور بديهتك إلا الليلة . . أ كنت عظيماً
وأنا . . !

ولكن فبرونا الثرثرة انتدروته بقولها :

— أي . . كيف عرفت أن ملكية الشعب للمرافق العامة

تؤذن بخراب شامل . . !

وفطب مسر بايت جبينه إذ كان السؤال محرجاً . . لم

يكن يدري من النظريات الاشتراكية أو الديمقراطية إلا القشور .

ولكنه كان يردد عبارات محفوظة ، وخفت مسر بايت إلى نجدة

زوجها العظيم فقالت مؤبة ابتها :

— رون . . اهلاً أوام توجيه مثل هذا السؤال إلى أهلك . . !

إلا ترينه مشغولاً . . ألا تعلمين أنه سيحطب الآن في اجتماع آخر ؟

هيا بنا فانهم ينتظروننا . .

- ٣ -

تقلب مسر لوكاس براوت على مسر مينيكادون وانتخب
عمدة لمدينة زينت وأبدى العمدة الجديد استمداذه لأن يمين يقرأ
من اقارب مسر جورج بايت في بعض الوظائف الحالية . . ولكن
الحطيط المعوه اعتذر عن قبول هذا العرض وطلب بدلاً من ذلك
أن يظلموه على المشروعات السرية التي يتسويها المجلس البلدي
بشأن فتح الشوارع الجديدة في المدينة . ولم يقن العمدة على
بايت بهذه البيانات فتسنى له بذلك أن يعرف المناطق التي ينبغي
أن يشري فيها العمارات لبيعها بشئ مرتفع بعد فتح الشوارع
الجديدة .

ولم تنقص شهرة بايت الخطابية بانقضاء الماركة الانتخابية .
بل كان يدمي دائماً إلى الاجتماعات العامة للاقاء كلمة من كلماته
القيمة . وكانت الجمعيات تعد نفسها سعيدة الحظ إذا رضى
مسر بايت بأن يتصدر مائدتها الرئيسية ويكون من عداد خطبائها
المميزين

وقال له صاحبه فيرجيل حاتش بوما ؟
 - لقد اصبحت يا جورج من اشهر اهل المدينة . وما النج
 صحيفة الا وقمت عيناى على حطبة بليغة لك ، ولا شك ان هذه
 اللعابة انجرت قاشتند اقبال الناس على الاستمئانة بك في عقلا
 صفقات البيع والشراء . ؟ فاستمر على ذلك يتضاعف ويحك .
 فضحك باييت وقال :
 - فعك من المزاج يا فيرج .
 ولكنه كان في قرارة نفسه يشعر بالزهو والفخر .

الفصل الخامس عشر

- ١ -

على الرغم من الشهرة العربية التي استغفانت لاسات لم
 يكن راصيا عن نفسه . كان اسمه على كل لسان . . وكان خطبه
 قداع في الصحف ولكم لم ينظر بالمكانة الاجتماعية التي يشهداها
 لم يدع حتى هذه اللحظة الى نادي بوبيون : نادي اصحاب الملايين .
 وكان باييت يعزى نفسه بقوله :
 - انى طبعا لا احفل بشيء من هذا القبيل . ولكنى اعلم انه
 كان يسر زوجتى ان تدعى الى هذا النادي .
 وجعل يتوقف بعروغ فبر اللبلة التي يرمى بها الى نادي
 بوبيون لتحدد معرفته برفيق التلبدة شارل ماك كيلفى وبغيره من
 اصحاب الملايين الذين يسطرون على المدينة مامولهم ونموذهم .
 ولما حار مرعد الحفلة السوية التي تقيها الجامعة لرحيها
 القدياء تضاعف رجاء باييت في ان يلقى في هذه الحفلة شارل ماك
 كيلفى فيجدد ان عهد التلبدة .

- ٢ -

بعد ايام وصلت الى جورج فد . باييت رقعة الدعوة بصفته
 من خريجي المعهد . واهيئت الحفلة في نادي بوبيون وحضرها من
 الخريجين ستور شسحسا . . وكانوا يشادون الحديث في مسرة
 وابهاج وان سى اكثرهم اسما رملانة القدياء .
 وجعل باييت همه الدنو من ماك كيلفى . فلما اقرب منه
 صمعه يتحدث الى المالى الشهير ماكس كروجر قائلا :
 - طبعا ساقوم مادبة تكريم لسمير جيمالد دولك . . لانه
 لعرف انه من اكر اصحاب مناجم الحديد في انجلترا . . هالو . .

اليس هذا هو زميلي القديم جورجى ؟ ، الا ترى يا عكس ان جورج بايت اصبح يدينا .

وصافح بايت المليونير الكبير والمالى الشهير في حرارة وفخار .

والصف ماك كيلفى الى بول الذى كان في رفقة بايت وقال له :
- هالو بول . ا كيف حال قشارتك ؟ انبوى ان تجلس يا جورجى في مكان معين ؟ اذن هيا بنا تجلس معا . . لقد قرأت خطبك الانتخابية

وكان بايت في هذه اللحظة مستعدا لان يتبعه حتى الى الجحيم .

كان بايت مزهوا معجبا بنفسه فخروا . . كان يشعر بان في وقوفه مع ماك كيلفى مجدا لا يعادله مجد . وكان لا ينفك يتقرب اليه ويحاول ان يرفع نفسه الى مستواه بتذكيره بعمود التلمذة وما جرى فيها . وكلما ابتعد عنه ماك كيلفى اسرع بايت في اثره وهو يقول .

- اسمع يا شارل . ! الا تذكر ما حدث في يوم كذا . ؟
واخيرا راي بايت ان يقوم بالمجوم العام فقال :

- مما يؤسف له يا شارل ان تفرق بيننا الياام فلا يرى بعضنا بعضا . يجب ان تحضر انت ومسر ماك كيلفى لتناول المشاء عندما في احدى الليالى !

فعال المليونير في صوت تنقعه الحماسة .

- ٥٤ . . طبعاً . . طبعاً .

- وعند هذا ساعدتك عن الاراضى المعروضة للبيع الواقعة خلف مصنعك ، وقد ادلى اليك برأى شديد

- عال جدا . . طبعاً يجب ان تناول المشاء معا في احدى الياام

- ٣ -

لم يتردد بايت في ان يدعو ماك كيلفى وزوجته الى تناول المشاء في داره . ولم يرد المليونير الشهير بالاجاب فحسب وانما حضر فعلاً . وان كان قد حضر بعد تغيير الموعد ثلاث مرات وبطبيعة الحال كان تنسيق المائدة واختيار الالوان مشكلة

وفي اليوم المحدد شرعت مسز بايت عقب الغداء مباشرة تعد مائدة المشاء . ورجع بايت الى المنزل في تمام الساعة الرابعة تنفيذا للاوامر الصادرة اليه . ولكنه لم يجد صلا سمله . وكررت

عليه زوجته ثلاث مرات قولها : « من فضلك اذهب الى غرفه
أخرى . . انك تعوقنا وتمسد عملنا بوقفتك هذه »
ونزل بابيت الى الحديقة فراى بيد جالساً هناك مكتئب
الوجه فقال له :

— ماذا بك يا نني ؟
— امرتنى ماما ان لا اظهر الليلة في قاعة المائدة . وان استحم
وأرتدى بدلى الجديدة .
فضحك بابيت وقال :

— ولم لا ؟ انى احب ان ارى « رجال بابيت » على احسن
حال « ورجال بابيت » تعبر بكثير بابيت من استعماله الى بحس
منه فخاراً وزهواً .

ولم يتأخر ماك كيلفى وزوجته من موعد العشاء الاربع ساعة
ولمضى بابيت لو ارى دوليرو سياره ماك كيلفى العاخرة . هي
تقف امام الباب وسائفه ينتظر بيزته الاتيعة .

وكانت الواو الطعام كثيره ومطهيه بصاية . واستعملت صل
بابيت سخاف الطعام العصية التى ورنها عن جدتها والتي لم تر
التور منذ عشرات السنين . اما بابيت عملل جهدا خارقا للقيام
بواجبه بصفته صاحب الدعوة . فلم يسرد شيئا من الحكايات
التي كان يسمي ان يرويها . ولم يحكر الحديث بل اسمى الى
الآخرين وكان بارعا في استهلالاته العسيرة بوصف الدكتور
الجوس « احد المدعوين » بأنه رسول الاسانية . ونعت هوارديتل
فيلد بأنه العلامة الذى لا يجارى وقال عن شارل ماك كيلفى انه
وحى الشباب الطموح . اما مسر ماك كيلفى فوصفها بأنها درة
المجتمعات في زينت وواشنجتون ونيويورك . . لم ذكر انها
سافرت مرارا الى باريس هاردف قائلا : « ودرة المجتمعات في
باريس ايضا . » ثم اضاف : « وفي لندن . » وخشى ان تكون
مسر كيلفى درة المجتمعات في امكنة اخرى فكفى نفسه مؤونة
الزلل بقوله « وفي كثير من المدن الاخرى »

ولكن على الرغم مما بلل من فن وجهه ظل جو المادبة باردا
قاترا ودارت الاحاديث بتكلف ظاهر
وقبل الساعة العاشرة بقليل اكتشف ماك كيلفى مع الاسف
الشديد ان زوجته مصابة بصداع شديد وان لا مفر من الاتحاب .
وقال وهو يرتدى معطيه :

— يجب ان نتناول الغذاء معا يوما ما ما جورج لتستعيد ذكرى
الايام الماضية
ولما انصرف سائر المدعوين في الساعة الحادية عشرة التفت

بابيت الى زوجته وقال :
— قال شارل انه امضى لدينا سهرة رائعة وانه سيدعونا الى
الغداء ، اقصد الى العشاء في احد الايام
فقلت لزوجته :

— الحق انها كانت مادية لطيفة ، وامي اورثها على تلك المادبة
الصاخة التي يتكلم فيها المدعون جميعا في نفس واحد دون ان
يصفى احد منهم الى صاحبه
ولكن عندما اوت الى مخدعها سمعها تبكي بكاء مكتوما بانسا
— ٤ —

مر شهر كامل وبابيت وروجه عراى في اهتمام قسم الاخلاق
الاجتماعية في الصحف وشرقا دعوتها الى بيت ماك كيلفى
وعرفا من الصحف ان ماك كيلفى اقام مادية لسمير جبر الد دولة
واقام مادية لعمير وعمره من كلفر الصوف الذين يهبطون المدينة
ولكنه لم يفكر في دعوة بابيت وروجه الى احدى هذه المادب .
وقال بابيت في شجاعة :

— ارجو ان لا يدعونا ماك كيلفى الى المادبة التي سيقمها
لورد دوك فاني احب ان اتناول مع شارلي وزوجته عشاء ظريفا
مجردا من قيود الرسمية .
وفي ذلك المساء بينما كان راحما الى داره مر بسيارة ماك
كيلفى الفاحرة ورأى فيها المليونير الكبير والى جانبه سمير
جبر الد . وتباطأ بابيت سيارته وسار في محاذاتهما .
وخيل اليه فحشا بان ماك كيلفى وروجه ينظران اليه
ويضحكان . . يضحكان منه ! .

وعر بابيت عن غصته بان قال لزوجته حين يندرج الى الدار
— ان رجال الأعمال من امثالي لا يتسع وقتهم لزيارة ماك
كيلفى وامثاله من العاطلين ا .
ولم يتحدثا بعد ذلك عن ماك كيلفى .

— ٥ —

كان اوغر بروك زميلا لبابيت في الجامعة . ولكنه اخفق في
الحياة فاشا شركة للتأمين في دورشستر لم تعب شبيها من
النجاح . وكان المكين يعنى فيما يشه الفاقة .
والتقى بابيت واوغر بروك في مادية الجامعة السنوية .
وبادلا حديثا قصيرا . واستمعادا لذكريات الطلبة . وقال اوغر
بروك :

— مما يؤسف له يا جورج ان يفرق بيننا الزمن الى ههنا

الحد . أتى اكون سعيدة بأن ادعوك ومسر بايتت يوما الى تناول
العشاء عندي

ويتنسى اللهجة المجردة من الحماسة التي استعملها مالك
كيلفى من قبل قال بايتت :

— آه .. طبعا .. طبعا .

ونسى بايتت ما كان من أمر هذا الحديث . ولكن أوفر بروك
لمسه الحظ لم ينس .

وانصل أوفر بروك ببابيت تلفونيا ودعاه الى تناول العشاء .
وقال بايتت لزوجته .

— أن هذا الأبله بجهل أبسط قواعد السلوك . : يدعونى
تلفونيا الى تناول الطعام عنده وقد كان ينبغي أن يبعث الى
زوجته برقعة عريضة ولكن هذا هو ما يجنيه المرء من الاتصال
بين كان مثلهم من طبقة وضيفة

وكانت مادية أوفر بروك مثالا للعنود والبرود . وانصرف
ببايتت وزوجته ميكربين . ولم يمتلئ بايتت بأن زوجته أصيبت
فجأة بمصداغ « كما فعل مالك كيلفى » وإنما اعتلر بأنه على موعد
هام في الصباح .

وفي الطريق الى الدار قالت مسر بايتت :

— أن أوفر بروك شديد الإعجاب بك يا جورج .

— أنه بقدسنى

— ولكن أبالك أن تدعوه الى العشاء .. أتى لا أحب أن أجرح
كبرياءه إذ يقارن بين فقره ويسارك .. إلا تعتقد أنه سيتالم حين
يعتبر الى دارنا فيجدهك على مثل هذا الغنى وهو فقير يعيش
في لاقة لا ..

— هذا صحيح ..

— وما عسى أن يقول عنا الدكتور أنجوس مثلا إذا عرف أن
أوفر بروك صديق لنا ..

ومر أسوع وهما في حيرة وقلق . يريدان أن يدموا أوفر بروك
وزوجته للعشاء ولا يريدان .. وأخيرا تنهد بايتت وقال :

— أن من القوة أن ندعوهما الى دارنا حتى لا يشعرنا بفقرهما
والنسبة اليها .. نعم .. رحمة بهما لن ادعوهما ..

ولم يتحدثا بعد ذلك عن أوفر بروك ..

الفصل السادس عشر

— ١ —

كان جورج ف. بايتت عضوا في كثير من الاندية والجمعيات

اذ تهاقنت عليه ودعته للانحاق بها استقلالا للشهرة المربطة
التي يستمتع بها .. وشعر باييت بمكانته الاجتماعية فداخله
الفرور والصلف في بعض الاحيان .. وللمرة الاولى في حياته
اتب مس مالك جاون في لهجة شديدة ..
ولكنه كان يردد الى حاله الطبيعية اذ ما التى نفسه في رقة
صديقه العزيز بول ريزنج .. وكانا يلتقيان مرة في الاسوع على
الاغل فيمضان نهارهما في لعب الجولف ومساءهما في الحديث
او العرف على القشارة .

- ٢ -

على ان العمل العظيم الذي قام به باييت في هذه الايام انما هي
اهتمامه بمدارس الاحد الدينية ..

كان بابرت رجلا متديبا ومن دابه الاختلاف الى الكنيسة
وحضور الحفلات الحيرية التي تعام فيها .. واغامت جمعية
النسبان المسيحية حطه خطب فيها القس الشهير الدكتور جون
جنسون دروي ببلاغته المعهودة وما هو معروف عنه من لافاة
اللسان .. فلما فرغ من عقته اقبل عليه باييت يسوق الالهة التهنئة
قائلا :

- لشد ما احب ان اخصي الى الصلوات المثقفة التي تدل على
سعة الاطلاع .

وصافحه الدكتور دروي شاكرًا وقال له :

- اتى احب ان اتحدث اليها يا مسر باييت فدل لك ان تقابلني
في مكتبتي ..

وفي المكتب لحق به الشاعر شام فرنك .. وبعد دقائق دخل
عليهما مستر ويليام ابثورن ..

ومستر ابثورن في السبعين من العمر وهو رئيس تلك الدولة
في مدينة رينيت ومن اقدم الامريكيين الذين نزعوا الى هذه المدينة
وله بين اهليها مكانة ماحوطة اذ يعد من عمدها الراسخة ..
وخاطبهم الدكتور دروي بقوله :

- رجوتكم ايها السادة ان تقابلوني في مكتبتي لاني في حاجة الى
معاونتكم ورايكم . ان مدارس الاحد في حاجة الى الاصلاح ، والمدينة
في حاجة الى بيت العبادة الدينية ، ولهذا اردت ان اقيم منكم لجنة
لاصلاح هذه المدارس ، فارجوكم ان تفرسوا عيوبها وماخذها
لحلل منكانتين على علاج هذه الميوب ..
وامسوا جميعا على كلامه في ارتياح ، وارتضوا هذه المهمة عن

طيب خاطر إذ كان الثلاثة من أشد الناس استمساكا بالمقيدة الدينية ..

- ٢ -

إذا سألت جورج فـ، باييت من عيشته الدينية أجابك في لهجة بعض احلأصاً وجلالاً : « عيشتي الدينية هي أن أكرس حياتي لحد الإنسانية وأن أعامل الناس بالحب والتسامح وأن أبذل كل ما في وسعي لاسعاد الاشياء والمنكوبين » فإذا ألححت عليه بالسؤال واستردده ايضاحاً قال لك :

« اني عضو في المجمع الكنائسي ، وبطبيعة الحال اومن بجميع مبادئ هذا المجمع » فإذا لم تفنح منه بهذا الجواب والحث من جديد قال : « اني ارى ان لا فائدة ترجى من المناقشات الدينية .. » أنها تفقد المقيد ..

ولكن مهما يكن من الامر فقد بذل جورج فـ، باييت جهداً خارقاً في القيام بالهمة التي اقفاها الدكتور دروي على عاتقه .. فجعل يختلف الى مدارس الاحد ويصفي الى المحاضرات والمظلات التي تلقى فيها في صوت بارد فاطر تنفسه الحماسة والابسان وتخلله عبارات الزجر للأطفال وحثهم على الانذفات والاستماع مما يقصد اعظم المظلات اثراً :

— ان الله قدير رحيم وهو جلت قدرته يقتض من .. ابدى .. اجلس صامتا .. يقتض من الخاطئين .. ويشمل .. فوران .. اجلس مكاتك ولا تحرك .. ويشمل برحمته المؤمنين .. ما هذه الجلبة .. علينا ان نعامل الناس بالحنى .. اذا لم تكف عن هذا الضحيج يا فوران ضربتك ..

وخاق باييت ذمها بهذه المظلات السخيفة ولكنه اضطر في النهاية اربهنه المدرسة على براعتها وماتركته كلماته من الرطبيج قة النفوس ..

الفصل السابع عشر

- ١ -

انمرت دراسة باييت لمدارس الاحد .. اذ انكشفت له ميوها ومآخدا .. وفي يوم محدد ذهب مع الشاعر فرنيك الى مقابلة المسالى الكبير ايثورن ..

وانفضى اليه باييت بوجهة نظره وما كنسفه من عيوب تلك المدارس والطريقة الناجمة التي يراها لتلقى هذه التقاوص . وقال :

- والرأى مندى ان تقسم هذه المدارس الى ثلاثة اقسام حسب الاعمار ، وان تخصص رب كرتب الجيش للترددين عليها ويرقى المرء الى رتبة اعلى اذا استطاع ان يضم الى المدرسة عضوا جديدا او ان يؤدى خدمة دينية .. ففى هذا ما يحسن الملتحقين على الاهتمام بها ولا يجعل ترددهم عليها مجرد (تادية للواجب) .. نعم ان هذه المدارس فى حاجة الى دم جديد .. فى حاجة الى جذوة تحرك نشاط الترددين عليها .
 وامن مستر ايتورن على هذا الكلام وارتفعت مكانة باييت فى نظره .. وقال اصدقاء باييت فى النادي :
 - بدهشنا ان تصافحنا يا باييت بعد ان صافحت المالى ايتورن ، فما دمت صديقا لاصحاب الملايين فكيف تتحلى الى ذلك الدرك ؟ .. كيف تنزل الى مصافحنا ؟ ..
 وضحك باييت ولكنه كان مزهوا فخورا ..

- ٢ -

رأى جورج فـ باييت ان الاستعانة بالصحافة امر ضرورى وان العقيدة الدينية لن ترسخ فى البلاد الا اذا ايدتها الصحافة .. لا المجلات الدينية التى لا يقرأها الا عدد محدود ، وانما المقصود بالصحافة الجرائد اليومية العامة التى تقع بين جميع الابدى ..
 وتحقيقا لهذا الغرض دعا جورج فـ باييت الخبير الصحفي كينيث سكوت الذى يعمل فى صحيفة (ادفو كيت تايمز) التى عليه محاضرة طويلة مريضة عن ضرورة نصرته الدين وتأييد الكنيسة .. وامن سكوت على هذا الكلام فى لهجة ضعيفة فاترة .. ولكن لهجته ازدادت حماسة وقوة منذ ما عرف انه سينال نصيبا من الدولارات لعنا لهذا التأييد ..
 وهكذا بدأت صحيفة ادفو كيت تايمز تنشر مقالاتا ملتزمة تدعو فيها الناس الى الانتماء بالعقيدة الدينية ..
 وتردد سكوت على منزل باييت مرة وتعرف بابنته فيرونا وهذا ذلك تردد مرارا ..

اكتشف سكوت وفيرونا ان " ك " منهما يفهم صاحبه واتهما اشتراكيا ، وان لهما نفس الآراء فى التقاليد والاجتماع والدين .. ولولا خوف فيرونا من ابيها لصارحته بان الدين لا فائدة منه فى العصر الحديث .. ولولا اشتقاق سكوت من ان يخبر منات الدولارات التى بدأت تتدفق الى جيبه لصارحه بان الدين لا يتفق والمدينة .. ولكنهما بدلا من ذلك اخذا بطعن من الطعن (امام باييت فقط) على الملحدين والاشتراكيين ..

طلب بايت الى الصحفي سكوت ان ينشر كلمة نظري فيما
الدكتور «دروى» ويمجد بضحياته واعماله التي يقوم بها في سبيل
نصرة الدين .. وابتم الصحفي الخبيث وقال :
- ان «دروى» بهم بنصه وليس في حاجة الى هذه الدعاية
.. انه يتولاها بنفسه ..

- واى صبر في هذا ؟ .. امن العار ان يمجد رجال الدين
انفسهم ؟ .. وان يحركوا الصحف للثناء عليهم ؟ ..
- طبعا لا صبر في هذا .. ولكنى كنت اظن انه زاهد في الدنيا
واعراضها الزائلة بعفنه من رجال الدين ..
ولما ظهر مقال سكوت متضمتا ابلغ النباء على الدكتور «دروى»
اسرع اليه بايت وافهمه انه هو الذى اوعز الى الصحفي بكتابة
هذا المقال وعقب على هذا قائلا :

- انى ارى بالدكتور «دروى» ارضيم مادية احتفالا بما احرزناه
من نجاح في تنظيم مدارس الاحد .. ولابد من ان تدعو مستر
ابثورن الى حضورها ..
واقبعت المادية .. وحضرها ابثورن ..

وجمع الدين بين ابثورن وبايت .. وكان المالى الكبير شديدا
الاعجاب بجهود بايت وايمانه الراسخ ..
وبعد شهور احتاج بايت الى الاقتراض للقيام ببعض الصفقات
فلم يقتصر من معرفته الخاص واتما قصد الى رقيقه الدينى
مستر ابثورن .. وامضى اليه عاينه وبان الصفقة التي سيقدها
يشفى ان تكون ذات صفة سرية لانها متعلقة بشراء الاراضى التي
ستخط فيها الحكومة الطرق الحديدية ..

وقدم مستر ابثورن القرض المطلوب .. وقدمه بصفة سرية
فلم يلججه في دفتر الك .. وهكذا تقاسم الاثنان الربح المنتظر
ولم تعد الشركة القائمة بينهما قاصرة على الاعمال الدينية ..
وعقب هذا القرض اخذ بايت يتردد على الكنيسة بانتظام
ولم تكن تضى ليلة الا خاطب ابنه بيد بقوله :
- اسمع يا بيد .. في خدمة الكنيسة يلتقى الانسان باصدقائه
اقوياء يمهّدون له ما يستحق من مكانة في المجتمع ، فاحرص يايتى
على خدمة الدين والكنيسة ..

الفصل الثامن عشر

- [١] -

كان بايت يرى امرته مرتين في اليوم .. وكان يدفع اليهم

التعود مرات في اليوم ومع ذلك مرت عليه أسابيع كاملة وهو لا يحس لهم . . . جود' . . . كأن كمن يعيش في عالم آخر .

ولكنه شعر بوجود فيرونا اذ لفت بصره اليها ولما بكينيت سكوت . . .

كانت فيرونا قد بلغت الآن منصب سكرتيرة مسنر جرونسبرج فخشى باييت ان يدمعها هذا الولع الى التحلى من عملها لتفترق بكينيت . . . وأشار يوما الى هذا الرأي تلصحا فقالت فيرونا :

— ان ما بيني وبين كينيت لا يمسو مجرد التعامم ، ان المواطف سخافة تفسد كل شيء . . .

وكان تيد هو اكثر افراد الأسرة اثارا لمحاول باييت . . . كان ضعيفا في اللاتينية وفي آداب اللغة الانجليزية القديمة . . . ولكنه كان بارعا في الأعمال البدوية وفي الرقص ولعبة الباسك بول . . . كما كان بارعا في الميكانيكيات (سوء الحظ) اذ جعلته هذه البراعة يلج على أبيه بأن يتنازع له سيارة خاصة . . . على ان الكثرة الكبرى كانت اهتمامه بالجارة الصغيرة اوبس لينل فيلد . . .

وعلى الرغم من ان اوبس هي ابنة العلامة هوارد لينل . . . الا انها كانت على تقيض ايها طرفة العقل لا تحب من دنياها الا الرقص والسبنا ولم يكن يفضي يوم دور ان تزور منزل باييت فاذا ما وجدت الاب جالسا يطالع صحيفته اترعتها من يده واخفتها وأخذت تحبسه عن السبنا ومن رغبتها في ان تصح ممثلة سينمائية . . .

واوبس في السابعة عشرة من العمر موفورة الشاب ناضجة الصبا تكشف عن سيمائها العنائه بطريقة مرعج باييت وبسر لها ابنه تيد . . . وفي بعض الاحيان كان بابي يتصور فتاة احلامه على صورة اوبس لينل فيلد . . . ولكنه لم يجزؤ عن ان يعلن ابنه من هذه الفتاة المرحمة المستهتره التي تصبح شعبها وان يشبه الى ان صحبتها هي التي تفقد القدرة على الدرس والتحصيل .

كان باييت مثالا للأب : عطونا . . . جصاحاما . . . صلب الرأي . . . ضميم الرأي . . . عنيدا . . . طيما . . . خبيثا . . . طيب القلب . . . طيما بما يجري في الدار . . . وجاهلا بما يجري في الدار . . . وكان كمعظم الآباء ينتظر ويتربث حتى اذا وقع الخطأ بدا يتكلم . . . وكان يبرر موقعه بقوله :

— ان والدته تيد هي التي تفسده ، نعم هي التي تفسده . . . لذا اردت ان افهمه شيئا وان اصلح اخطائه لامتنى وزجرتنى . . .

أقام تيد حفلة ماهرة لتلازمة فصله بمناسبة قرب انتهاء السنة الدراسية .. ومعنى بابيت لو اشترك في تنظيم هذه الحفلة ولكن زوجته احتكرت تنظيمها ولم تشركه في مداولاته مع ابنها ودخل عليهما بابيت يوما فقال :

- اسمحان لي بأن أبدي رأيا ..

فقاطعتة مسر بابيت بقولها :

- اليس لي الحق في أن أبادل الرأي مع تيد .. أنه رجل فلا تفسده بتدخلك ..

وفي ليلة السادسة تصور بابيت ان الفتيات سيدخلن الى احدى الغرف وينزلن منهن الكورسيه كما كان شأن الفتيات في العهد الماضي .. ولهذا دهش حين رآهن مشوقات القوام موفورات النشاط لا يدل قوامهن على انهن ممن يستعملن الكورسيه ، واشتدت دهشته حين رأى لهن جميعا نفس النعاه الحمراء ونفس الجواصيذ الرقيقة ونفس الوجوه المشابهة التي لا تتميز بعضها عن بعضي .. على ان الشيء الذي اذهله واغضبه هو انه لاحظ ان الفتيات والفتيان كانوا يتسللون الى الحديقة من لحظة لأخرى .. فمحبهم للامر ونزل الى الحديقة وانزوى في ركن مظلم .. كانت السيارات مغطاة الاوار ومن داخلها ترتفع الضحكات معجونة بصارات من هذا القبيل : « املا لي كاسا أخرى » لا تفرط في الشراب ..

وذكر بابيت ما سمعه من بعض الاصدقاء : قيل له يوما ان الفتيات العذبات يحسبن الخمر وان طلبة الجامعة يحلون الخمر في جيوبهم الحلقية في زجاجات صغيرة ..

وتسلل بابيت راجعا الى المنزل وهو في حيرة من امر هذا الجيل الجديد ..

وجاء الدكتور هوارد فيلد وطلب استدعاء ابنته لان امها تشعر بضداع .. ولما اقبلت اونيس على بابيت نصامعه شم رائحة الخمر تفوح من قمها فقال في نفسه :

- في البائة عشرة وتحسب خمرًا ؟ يا الهى ! انها هي التي تفسد تيد ..

ولكنه بعد قليل شم رائحة الويسكى تفوح من قم تيد .. وفترت بعد هذا العلاقات بين اسرتي بابيت وليتل فيلد .. ونفذ حضور اونيس الى دار بابيت .. واذا ما حضرت قالت في صراحة ان اهلها يمانعون في هذه الزيارات لانهم يعتقدون ان تيد امسك اخلاقها ..

وتنهى بايت ولم يجرؤ على أن يصارحها بأنه يعتقد أنها هي
التي أفست أخلاقه ..

- ٣ -

قال تيد مخاطباً أوبي
- الشيء الذي مذهني في أبي هو أنه يعيش في هذه الدنيا
وكأنه من عالم آخر .. في كل مساء يلزم البيت ويجلس في قاعة
الاستقبال ويغالبه النعاس .. فادأ قلت له أنا أورو .. « فقال يا أبي
فخرجك على علمي جديد .. أجاباً وهو يتأهب : « كلا .. أنا أقص
البقاء هنا .. أنه لا يعرف أن في الدنيا سررات ومباهج .. أنه
يعتقد أن العالم عبارة عن مكتب لإدارة العمل وساعة يلعب فيها
الجولف مره في الأسبوع .. وهذه هي الحياة منه .. دائماً جالس
في البيت .. دائماً جالس في البيت .. لا يحب أن يذهب إلى أي
مكان .. ويعتقد أنني ورون مجنونان متهوانان ، يا أبي .. ! لأنه
حي ميت !

- ٤ -

في نفس الوقت كان بابيت يتحدث إلى زوجته قائلاً :
- مذهني من أمر ورون وصاحبها سكوب ابها لا يكادان
يخرجان : دائماً في البيت .. دائماً في البيت .. يتأدلان الحديث
ولا شيء أكثر من هذا : إلا يعلمان أن في الدنيا سررات ومباهج .. !
والذا .. سمعاني أفكر في الخروج فلنا أني معتوه مجنون .. ! يا أبي
.. ! أنهما من الأحباء الأموات !

- ٥ -

حضرت أم بابيت القيمة في الإرياف لتمضي ثلاثة أسابيع هنا
ابنها ..
وهي امرأة كريمة القلب على شيء من السداجه .. وأعجبها من
فرونا ابها لا يكاد تغادر البيت وأنها ليست من طراز الفتيات
العصريات ذوات الإدمغة المخشوة بالترهات .. وعندما دخل تيد
ملوث اليدين بالزيت والشحم ولوث يهما بعض المعاهد أعجبها منه
أنه مولع بمساعدة أبيه في الدار بدلاً من قضاء الليل في الخارج
يعربد مع العبات المستهترات ..
وكان بابيت يحب أمه ويعجب بشامخها .. وعظمها .. ولم

يكن يفيظه منها الا تقديسها للظلم العظيم الذي لم يخلق الله بطلا
مثله .. اي ابوه ..!

فقد كانت لا تفتأ تقول

.. لقد فعل ابوك كذا .. وفعل ابوك كيت .. وراى بيك في
هذا كذا وكذا .. وابوك هو الذي ..

دائما ابوه .. كانما يعيش في دنيا ليس فيها الا ابوه

وجاء مارتن شقيق باييت للاقامة عند اخيه بصفه ايام
ومعه زوجته وطفله .. ومارتن يقيم في قرية كاتوبا برمي الماشية
ويدير جانوتا صغيرا للبعالة .. وكان فحورا مرهوا بامستقلاله
وبخشونته وبدماسته وبعدم فهمه لاداب السلوك .. وكانت عبارته
التي لا يمتا بردها هي قوله : « نكم اشتريت هذا ؟ » ووجه هذا
السؤال بشأن فلم باييت الابنوسي وكتب ميرونا والازهار الموسوعة
على المنضدة والقميص الذي يلبسه باييت .. وحتى المصقة لم
ينس ان يسأل عن لونها .. وود باييت لو هشم رأسه .. ولكنه كظم
ما بنفسه احتراما لأمه .. وكانما أراد ان يشفى غليله فاخذ يداعبه
ابن اخيه السفسر بقوله :

.. هذا الرضيع ابله .. ومفضل .. ولا يفهم شيئا ..

وفي نفس هذا الوقت كانت فيرونا وكينيت مزوجين في ركن
القامة يتباحثن في نظرية النشوء والارتقاء .. على حين كان ليد
منهمكا في تاييب نيكس لانها مرفت له كتابا .. اما نيكس فكانت باكية
دامعة العيى تطالب اباه بان يسمح لها بالذهاب الى دور السينما
ثلاث مرات في الاسبوع « كفيها من الفتيات »

ولما باييت فضبا وقال لزوجته فيما بينهما :

.. يا الهى ..! لقد سئمت هذه الحياة .. في البيت ثلاثة اجيال
من الاعمار .. ويجب ان احسن معاملتهم جميعا .. يجب ان اكون
طفلا وشابا وكهلا وعجوزا .. هذا شيء لا يطاق ..! وكلهم يعتمدون
على .. امي تطالني بنقود .. هنرى تومسون يحدثني بخافاته ..
ميرا تكاشفتني بتاعها المنزلية .. ومارتن يريد متى ان ابدى اعجابه
بشقيقه .. وارمى بالتطفل اذا اودت ان الت الاولاد الى خطأ
تصرفاتهم .. كلهم يعتمدون على وليس فيهم من يشكرني او يعترف
بالجميل يا الهى ..! شيء لا يطاق ! متى انجو من هذه المتاعب ..!

وفي شهر فبراير مره ان نزل به المرض .. وسره انهم بناوا
يتمون به وينزعجون من اجله ..

في خلال يومين كاملين أصبح السيد المطلق وهو راقص على
فراشه كلهم خاضعون لرغباته عطيفون لاوامره وتواهبه .. وسبحوا

له بأن يزق فيهم : ابعثوا عني - اقربوا من امام وجهي . اذ ذن
ان يعترض احد منهم على قوله او يستنصف اهانه في هذه الكلمات .
واورسل بصره الى الحديقه من خلال النافذة وهو طريق
الفراش وراى اوراق الاشجار تتساقط تحت وطأة الشتاء . فتنهد
وشعر بالحياه شعورا جاروا . وكان حزينا .

ولاح له ان حياته كانت آليه . وعمله الى سخيـف . يـم
يوت قديمه مهـدمـة . والدين الى فائر . دراسة عملة سخيـفة
في الكتب لا حلة لها بالعلوم الشعبية المكتوبة وما حلت الدور من
تكتيات وكواوت . والجولف الى . والمآذب . والاحاديث التي تدور
في السهرات . والصدقة آليه فيما عدا صداخته ببول ويزلنج .
وتمايل في فراشه وتتم يقول :

- لا اريد ان ارجع الى العمل . اريد ان ... اوده ... اتى
لا ادري ما اريد .

ولكنه ذهب الى مكتبه في صباح اليوم التالي .

الفصل التاسع عشر

- ٩ -

عندما اعتزمت شركة النقل انشاء مصنع لها في دورشستر
اكتشف ان شركة بايت وتومسون اشترت سرا الاراضي المربع
انشاء المصنع عليها . وعصيت الشركة ورمع بايت الاسعار .
وهدمه الشركة ببلاغ الامر للمضاء وطلب تعيين خبراء . ولكنها
لم تتقدم باية شكوى بل دقت الثمن المطلوب لعلها بان في دفاترها
وملقاتها مبالغ ورسائل تكشف للمحكمة ملاقاتها السرية مع كبار
الموظفين واذا ما انقضت هذه العلاقات قضى على مستقبل الشركة
قضاء ناهيا .

ومقب انجاز هذه الصفقة اودع بايت في البنك ثلاثة آلاف
دولار واشترى مندوب الشركة لنفسه سيارة فاخرة بخمسة
آلاف دولار . وشيد وكيل الشركة لنفسه دارا جميلة في ديفون .
امانيس الشركة فاسفر الى اوروبا في رحلة على حسابه الخاص
اتفق فيها عن بلخ وامراف .

وما فرغ بايت من هذه الصفقة حتى اكتشف ان في مكتبه
رجلا غير شريف . ولم يكن هذا الرجل الا ستانلي جراف .
بدا بايت يرتاب في جراف منذ زمن غير قصير . كان يشك
وموده للمستاجرين . ولكن يؤجر البيت بعد باصلاحات لم يصرح
بها المالك . وارتاب بايت في انه كان يضمن قائمة الاتاث الموجودة

في البيوت التي يؤجرها قطعا ليست في البيت . فاذا ما انتهى العقد طالب جراف المستاجر بأثمان هذه القطع المدسوسة واحتفظ بالثمن لنفسه .

وفي ذات يوم دخل على بابيت أحد المملاء فغاضبا قائبا انه اساجر بيت من جراف وبعد أن ذبل العقد بتوقيعه وعده هو بامضائه من المالك وإرساله اليه . وفي صباح اليوم التالي حمل البريد العقد الى بيت العميل . وكان هذا غائبا عن داره . وبعد ساعة حضر جراف واسترد الخطاب من الحادئة بحجة انه أرسله خطأ الى مستر فارني . وهو اسم العميل .

واتصل فارني بجراف فلم يذكر هذا ما حدثت وعلل الامر بأنه وجد عميلا آخر رضى أن يستاجر البيت بقيمة أعلى فلم ير مناسبا من استرداد العقد .

وغضب بابيت حين سمع هذه القصة وقال لمستر فارني :
- كن مطمئنا يا سيدى اعتبر ان البيت اجر لك فلن أؤجيره لسواك مهما دفع .

- ويجب أن تطرد ستانلى جراف عقابا له .
- وسأطرده يا سيدى وسأعيد اليك الممولة التي دفعتها .
كلا . كلا . يجب أن أعيد اليك الممولة على سبيل الترضية .
يا الهى ! أليكون في مكتبي رجل غير شريف ! يا الهى ! أليكون مساعدي حرب الدمة ! لا بد أن أطرده !
وخرج مستر فارني يتنى على ما ألمسه في مستر جورج هـ .
بابيت من شرف واستقامة وتزاهة .

- ٢ -

قال بابيت يخطب مساعده جراف :
- ليك تقدم على هذه العملة !
- حياه لصلحه الشركه . عرض على سعر اعلى للم اترونا في قبوله وسحب العقد .
- بها لك ! كيف نحرق على هذه العملة وانت تعمل في محبى ونحت ارادنى ! ألا تعلم ان مملك غير شريف ! بعد هذا لا أستطيع ان اسمع بك !

فنفّر اليه جراف في فحة وجراه وقال :
- اذن فقد طردتنى ايها المتدين الشريف ! ايها التفى النقى الورع ! لا انكر اى اختلست بعض المال . ولكن آكان يسنى أن أقفل غير هذا وانا اشتغل في هذا المكتب !

جراف : من لسانك من ..
 - هدى من روعك فاني لا أخافك . واصمخ الى ما اقول والا
 رجعت بملء صوتي واسمعت جميع من بالمكتب .. انك انت الذي
 جرائني على انسرقة والاحتلاس بالاجر الثافه الذي تدفعه الى ..
 انك انت الذي علمتني الغش والخداع اذ لم تمنحني المرتب الذي
 استحق .. وبعد ذلك تصعني بانى رجل غير شريف .. وما رايتك
 فى عملية شركة النقل الاخيرة .. لو انى اقصيت الى النائب العمومى
 بما اعرف لارسلتك وارسلنى معك الى السجن ابها النقر الطاهر ..
 - اسمع يا ستان .. انك تعرف ان هذه الصعقة شريفة ليس
 فيها ...

- نعم .. شريفة ابها الرجل الفاضل الامين .. اسمع . اذا
 خطر لك ان تعرف النجاشى بالشركات الاخرى فسأفكلم وافصح
 الى الناس بما اعلم . سألتحق الآن بشركة مديرتها لمر مثلك
 والعرق الوحيد بينكما انه لا يتحدث عن الدين او المثل الاعلى !

- ٣ -

كان حديث ستانلى جراف صدمه لا يتوقعها بابيت فاستقر
 هزله على مصفيه بصفه يوم فى شيكاغو للراحه من عناء الاعمال ..
 فسافر اليها وى صحبته ابنه تيد اذ كان فى عطلة الاسبوعيه
 المدرسية .

وسفر بابيت بالحريه فى شيكاغو . وجبل اليه انه خلق خلقا
 جديدا . وتحدث الى ابنه عن عصه الامم . وما سبله من جهود
 فى مويه الدول الكبرى وسحق الدول الصغرى . ثم حدثه عن
 كينيت سكوت وتصادمه عن طلب الزواج من ميرى .
 وقال تيد :

- بخيل الى انه سيانى يوم اذهب فيه الى هذا الغنى المحجول
 وآخذ بيده الى الكنيسة لآزوجه من اختى .
 وقال بابيت :

- وانا ايضا جرى هذا الخطر بيالى .
 ولهمد الاثنان وضحكا .. وكلفا سعيدين
 وقال تيد لآبيه :

- سمعت يا ابي حكاية القاضي الذي افرط فى السكر !
 وقص عليه تيد الحكاية وضحكا طويلا .
 وانتهت عطلة تيد المدرسية فرجع الى بيتت ومعى بابيت وحده
 ل شيكاغو

كان جالسا في بهو الفندق وفي وجهه امارات الفجر والسامة
يعبر وحشة العربة وقد زايته هائلة الذي شعر به في وجود
ابنته . وحانت منه لفظة الى رجل يجلس على كتب منه وفي وجهه
ايضا دلائل الانحياض والملل .

وحملني بابيت في الرجل . . انه لم يكن الا سير جيرالد دوله
ملك الحديد في بريطانيا والصدوق الحميم للمليونير مالك كيللي .
وفي غير تردد مشي بابيت الى ملك الحديد ومع اليه يده
وصافحه وهو يقول :

- كيف حالك يا سير جيرالد . . لقد التقينا في زينت في
احدى مآدب شارول مالك كيللي . . انني ادعي بابيت . . مسكوك
عقارات .

ولصافح الرجلان . . واستولت الحيرة على بابيت ولم يدرك
كيف يتراجع فقال :

- اظنك قمت برحلة طويلة بعد ان غادرت زينيت ؟

- نعم . . سامرت الى كولومبيا البريطانية .

- وما هي الحالة الاقتصادية هناك . . ؟

- سيئة . . العاطلون كثيرون .

- هذا شيء يؤسف له

ثم اردف بابيت قائلا :

- انتظر احدا من رجال الاعمال يا سير جيرالد . .

- رجال الاعمال . . اوه . . كلا . الواقع اني كنت افكر في

الكعبة التي اعمى بها السهرة . اذ لا اعرف احدا في شيكاغو . .

الا نعرف مسرحا طيبا . . ؟

- اه طبعاً . . ان في الاوبرا رواية موسيقية رائعة

فعال سير جيرالد في شيء من التردد :

- الاوبرا . . ! ابدعك ان نصلح اني امقت الاوبرا . . ! اني

افضل الذهاب الى السينما .

- عال . . ! وانا ايضا احب السينما اذا اذنت لي بمرافعتك

- بكل ارياح .

- في سينما جراثام فيلم عن المصائب بطله بيل هارت .

- عال جدا . . اني احب روايات المصائب . . هيا بنا .

وراق الفيلم لسير جيرالد فلما خرج من دار السينما قال :

لبابيت :

انني شاكر لك ارشادي الى هذا الفيلم . . صدقتي اني لم

ايتجه منذ اسابيع الا اليلة . . قد حضرت الى الولايات المتحدة

وأنا منهمك في المآذب والحفلات .. أنهم لا يسمحون لك بالذهاب إلى السينما .

- تماما .. أنت تحبة نادرة يا سير جيرالد .. أنتي مثلك أمقت المآذب والحفلات .

وبلع من حماسة باييت أنه نسي نفسه .. ونسى أنه يحاطب ملك الحديد .. ونسى الالفاظ المهذبة التي اعتاد أن يلقبها في حديثه .

والترح باييت أن يلبسها إلى مطعم يعرفه لتناول العشاء . وفي هذا المطعم يقدمون الويسكي .. أعني إذا كنت ممن يشربون .

فقال سير جيرالد :
- وما الداعي إلى الذهاب إلى المطعم ؟ أن في غرفتي صندوقا من الأحمر فيها بيتا إلى الفندق !

وعلى مائدة الشرب خطما عنهما قيود الرسميات والتمايل . وقال سير جيرالد :

- الشيء الوحيد الذي انفضه في الولايات المتحدة هو المآذب والتمايل والتكلف .. اجلس متندلا .. وأتكلم بالفاظ مستعارة .. ولا افصح من النوادر إلا ما كان مهلدا . وبهذه المناسبة ألا تعرف حكاية ظريفة ؟

- أعرف .. ولكنني أخشى أن أجرح سمعك .
- أوه ! تكلم .. تكلم .. وإذا كان في حكايتك نبل واستهزاء فهذا ما أحب .

وهي باييت حكاية أعجبها حكايات .. وضحكا طويلا .
وحلج ملك الحديد جاكنته ثم حذاه وجعل يفرع في جوفه الكاس تلو الكاس . وقال :

- تصور أن مر مالك كيلمي سالتني عن المناحف التي فضلتها في فلورنسا مع أنني لم أزر فيها ولا متحفيا واحدا .! ما شأنني أنا والمناحف أنني أحب السينما والحمر وشيئا من اللهو . أن سوا مالك كيلمي ظريفة ، وإذا أقلمت من تكلمها كانت أكثر ظرفا .

وأضى باييت في غرفة سير جيرالد ثلاث ساعات يحتسبان الأحمر ويضحكان ويبادلان الحديث وقد نسيا الدنيا وما فيها من رسميات وقيود .

وعند الاعتراق قال ملك الحديد :
- هذي أسعد ليلة أمضيتها في الولايات المتحدة . كانوا يعاملونني جميعا كأي ملك غير متزوج . أما أنت فعاملتني كصديق .

ومما يؤسف له انى مضطر الى السفر في صباح الفد . ولكنى اكون سعيدا اذا برلت على صيما فى مونتجم اذاً ررت يوما انجلترا . ولم يغمض لبايت جمن فى تلك الليلة يل جعل يفكر فى هذه العدة السعيدة التى وثقت العلاقات بينه وبين ملك الحديد ، وانتوى اذا ما رجع الى زينت ان يحدث اصديقه فى الساندى بما كان من مقابلته لصدقه العزيز سى جى رالد دولك . ويصور نفسه وهو يقول لىسى ملك كيلى :

— انك تصحى اشد ظرفا اذا افلعت من التكلف والمجرفة . .

كما قال لى جى رالد دولك عندما كنا فى شيكاغو . . . نعم ان جىرى صديق قديم لى . . وانى افكر وزوجتى فى السر الى انجلترا لتمضية بضعة ايام فى قصره .

الفصل العشرون

— ٩ —

فى الليلة التالية ذهب بايت الى مطعم ريجنى فاذهله الى راي امامه صديقه بول ريزلنج جالسا الى احدى الموائد يسأل امرأة تجاورت طور الشباب . وكانت المرأة تفحك صحتاب ممحوجة اثاره اعصاب بايت . . واشتدت غضبه حين راي بول يسك بيد المرأة ويحاول ان يقبلها من صال بالجالسين فى الفندق .

وتقدم بايت من بول ولمس كتفه لمطرب هذا جيبته حين راي صاحبه . وقال بايت :

— اين برلت يا بول . . ؟

— فى فندق كامبل .

— وحده . . ؟

وكانت لهجته تنطوى على شيء من التعريض واللمح . فقال :

بول فى غضب مكتوم :

— طبعاً وحده . . السوء الحظ ! . دعنى اقدمك الى مسن

ارنولد . صديقى جورج بايت .

فقال بايت فى لهجة خالية من الحماسة :

— يسرنى ان اقابل اى صديق او صديقة من اصدقاء مسن

ريزلنج . اريد ان اقابلك الليلة يا بول .

— انى افضل ان تنفدى معاً فى الفد .

— اما انا فافضل ان اقلبك الليلة . . . وسانتظرك فى فندقك

حتى تحضر . . .

عندما التقى الصديقان قال بايت مخاطبا صاحبه :

- ما بالك يا بول متجهم الوجه وتحاطبني في لهجه شديدة ؟

- وانت ما بالك تتدخل في شؤني وتغرم نفسك فيما لا شأن لك به ؟

- بول : اهدء طوبى لك في مخاطبة الاصدقاء ..

- لم يعجبني اسلوبك في مخاطبة مسز ارنولد ..

- وانا لم يعجبني معارلتك لها .. ولا استطيع ان استسيح

كيف نحوى زوجتك وتعامل امرأة من هذا الطراز مهما كانت زبلا

بشاعة منحرفة ..

فقال بول في تهكم :

- يا لك من مثل اهل الزوج المخلص ..

- طبعاً .. وهل تنكر على ذلك .. انى لم اطلع الى امرأة مثـ

تزوجت بغيراً ولن اطلع .. ليس في العالم ما هو اجمل من العسيلة

الا تعلم يا رجل ان هذه العلاقات كعيلة بان تزيد زبلا استمراراً على

المشاعة ؟

فصاح بول في انفعال :

- اسمع يا جورج ... انك رجل سليم الطوية ولا تعرف عن

العسيلة اكثر مما تعرفه ابنتك الصغيرة تينكا .. ولكن يجب ان

تفهم ان زبلا هي التي دفعتني الى هذا الموقف بمشاعاتها

واستحوايها وتحريباتها ... اذا كنت في بيتي لا اتقى الهناء الذي

اتشد .. فلماذا لا ادير وجهي الى امرأة اخرى ؟ نعم ان مسل

ارنولد ليست جميلة وليست شابة فتية .. ولكن حبى منها انها

تعلمني وانا تسرى عنى همومي ومتاعبي

- واطنها من اولئك الزوجات اللاتي لا يفهمن الارواح ؟

- لقد مات زوجها في الحرب .. وهي امرأة مطوف رقيقة ..

وعندما امضى اليها بهومي تحنو على كائي طفل صغير قبل تنغم

على اتى الممس الهناء حيث أجده ؟

فاثرت هذه الكلمات في نفس بايت وقال :

- اني آسف يا بول ، انى على استعداد لان اسدى اليك اية

نخلة بول في وسمى ان افعل شيئاً ؟

- نعم في وسعك ... بدأت زبلا ترتاب في امرى وتعجب لطول

كيسنى ... فاذا ما عدت الى زينيت فاذهب اليها وانشأ انك

قابلتني واني منعمك في العمل .. فاني اخشى ان تحضر في الري

للتجسس على فاذا فعلت ذلك امكنتني ان امنى اياما اخرى مع
 مسز رنولد
 ووعده بايت بان يحسن منه الشهادة حتى يتيح له اقامة
 اقامته مع عشيقته .
 ولم ير بايت في قيامه بهذه المهمة اية مباداة للمعيلة بتسفته
 فصرها في مدينة زيتيت .

الفصل الحادى والعشرون

- ٩ -

عقد نادى بوسترر اجتماعه السنوى في تلك الايام وكان جورج
 ك. بايت من خطبائه البارزين

رنادى بوسترر لا يهتم بالاعمال التجارية او الهندسية وانما
 يكرس وقته لتبديد هموم اعماله وبعث المرء في قلوبهم . فلم
 يكن اجتماعه السنوى مباردا عن خطب بلقى او محاضرات بداع .
 وانما كان عبارة عن مسابقات على غاية من المراهبة والتشدد مدست
 الحوائز الى اقبح الاعضاء وجها . والى اجهلهم ، والى اكثرهم
 يدانة . والى اشدهم بخافة وفي الليلة التالية رقص كشبيرو . من
 الاعضاء رفصاف المهرجين والمضحكين اما الليلة التالية فكانت
 مباراة بين الاعضاء في التنكيت . وصحت عدة جوائز لاصحاب
 اطرف الحكايات .

ولكن على الرغم من هذا المجون كان نادى بوسترر بضمير اكبر
 اندية مديته ريبب اد يصم رجال الاعمال والصناعات فيها . ولا
 تباح عصوبته الا لمن كان مصوا في المعرفة التجارية .

وفي الاجتماع الاخير للنادى انتخب جورج هـ. بايت وكيللا
 للنادى وتلقى بايت التبا في ابتهاج عظيم . حتى لقد خيل لمن
 يسمعه يتحدث انه انتخب رئيسا للجمهورية . وخيل اليه وهو
 يسير في الطرق ان الناس يومنون اليه ويقولون :
 - انظروا .! هذا هو الرجل العظيم . - هذا هو وكيل نادى
 بوسترر .

ولما ذهب الى مكتبه استدعى اليه سكرتيرته مس ماك جاون
 وقال لها وهو يفكر كفيه مرورا :
 - هننى رئيسك يا مس ماك جاون .! لقد انتخبت وكيللا لنادى
 بوسترر .!

ولكنها خيبت رجاءه ، الا نظرت اليه في بلاهة ولم تهتمه بكلمة واحدة وانما قالت :

— لقد سألت عنك مسز بايت اكثر من مرة !
اما مساعده الجديد فريديز وينجر (الذى استخدمه بدلا من
ماتلى جراف) فقد أميل عليه يقول :
— انتجيت وكبلا لنادى بوسترز . تهائى القلبية . يا هذا
شئ عظيم ! اهنتك بكل جوارحي .
والمرء الاول ايقن بايت ان فريديز كفه في عصفه ، والله
يستحق علاوة .

ولما امسل نيلوبيا بزوجته قال يخاطبها :
— سمعت انك سألت منى . ولكن يجب ان تتدبى في حديثك .
انك الآن تخاطبين رجلا عظيما .! تخاطبين وكبل نادى بوسترز .!
— اسمع يا جورج .!
— بل اسمعى انت .! ان رئيس النادى بنوى الاستقالة . وعند
ذلك سينتخب جورج العظيم رئيسا بدلا منه .

— اسمع يا جورج .. ان ...
— بل اسمعى انت ...
— ان بول ريزلنج ..
— طبعا .. ماتصل بيول ريزلنج وارث اليه النبأ العظيم .
— اوه .! جورج .. اسمع .. ان بول في السجن .. أطلق
الرصاص على زوجته « زيللا » بعد ظهر اليوم .. وحالتها
خطرة .

٢ -

رفض بول ريزلنج ان يعابل صديقه بايت حين ذهب اليه في
السجن مما كان من هذا الا ان استعذر أمرا بالزيارة من العمدة
دون حاجه الى الرجوع الى رأى السجن .
وكان بول جالسا على فراشه واجما وفي وجهه امارات
الدهون . واميل عليه بايت قائلا :
— لا تحزن يا بول . لقد قالت زيللا ما تستحق .
فهر بول رأسه في اسي وقال :

— دع زيللا وشأنها .. ما يلزمى انها هي ايضا لم تكن سعيدة
معي : بعد ان اطلقت عليها الرصاص حزنت لاجلها وارتميت عليها
أقلامها واحاول ان امتنع نريف الدماء .. مسكينة زيللا .. لست
أدري كيف طاعنى قلبى على الاعتداء عليها .. لقد حاولت ان

أركب معها سيارة الاسفاف فلكنى الشرطى على وجهى وردى من اللحاق بها .
فقال باييت :

— هدى من روعك يا بول ودع هذا الحديث .. ساذهي
الى مقابلة محاميك متر ماكويل لاستمر .. عما ينرى
ان يفعل ..

سار باييت الى مكتب المحامى وهو يفكر فى ان الحياة قدت
بهيبتها وقد تزعج بول فى السجن ..
واستقبله المحامى فى فتور فعلى له باييت :

— انك تعرف ان بول اعز صديق لى .. بل صديقى الوحيد
فهل يمكنى ان اؤدى له اية خدمة ؟ ما رايك فى ان اقدم الى
المحكمة واشهد ان ريبلا هى التى شمرت المئس فى وجهه فلما
حاول ان يسترعه منها انطلقت رصاصه واصابتها .

فقال المحامى فى لهجة صارمة :

— تريد ان تشهد شهادة الزور ؟ انها عمل غير شريف ..
— شهادة الزور ؟ ؟ اءه صحيح .. ولكن اذا كانت لها فائدة
فانى لن اتردد .

— لا فائدة لها . واذا اردت ان تخدم صديقك فاهتم بشؤوك
ودعنى اهتم بشؤونه .

وخرج باييت من مكتب المحامى آمنا لانه لم يمكنه من ان
يشهد شهادة الزور .

— ٣ —

لم يستغرق محاكمة بول وقتا طويلا فقد اعترف بجريمته فى
بساطة وقال ان زوجته اهاجت امصابه وحملت ثوبه وترجره دون
اى مبرر مطاشى سوابه وتناول مدسه واطلق عليها النار .

وبعد دفاع بارع من المحامى ماكويل اعتبرت المحكمة ان بول
ارتكب جريمته وهو فى حالة معيبة شديدة وحكمت عليه بالسجن
ثلاثة اعوام .

واقبذ بول الى السجن . وغادر باييت دار المحكمة وهو
يشمر بان الدنيا اصحت مظلمة ومزعجة .

الفصل الثانى والعشرون

— ١ —

اتمعت جورج لى باييت فى العمل من شهر مارس الى شهر
يونيو فانقذه عمله من التفكير . وكان جيرانه غرقاء يختلفون الى

داره او يختلف الى دارهم فيعطون الوقت في لعب السريدج او التريد على دور السينما . . .

وفي شهر يونيو سافرت مسر بايت وابنتها تيبكا لتمضية بضعة اسابيع عند اقارب لهم في شرق امريكا . واصبح بايت حرا يفعل ما . . . الواقع انه لم يكن يدري ما يريد ان يفعل .

وعقب سفرهم استولت عليه نشوة الشعور بالحريه . . انه الآن وحده في داره يفعل ما يحلو له دون ان يخشى لوما من احد . وحظر له ان يقيم مديته في ذلك المساء يفتو اليها ميرجيل جانتي وادى سواسون . ولكنه العاهما مدعوبين الى مادية اخرى .

فتناول عشاءه مع بيد وفيرونا . ولاد بالصمت طول الوقت . وعقب العشاء خرج تيد واحته مجلس بايت بعضي الوقت في الفراء . ولكن الكتب بدت في نظره عجه سحيقة لا طعم لها . فطوى الكتاب ونال سواه فوحده كسافته . ولبت في مقعده صامتاً يفكر في لا شيء حتى رجع تيد وفيرونا من الحارج في منتصف الليل .

ودكر في وحده بول ريزلنج . رآه يخرج اليه من غصيرة الضباب وحول ذراعيه القيود الحديدية . . مخلوق شقي منكوب . ومن خلال الضباب برر اليه ايضا الشاعر شام فريك . ولكنه كان دميم الوجه متففس السحنة . . واوما اليه فريك بامبعه وقال :

- في هذه الدنيا مجبور آخر يدعى جورج فـ . بايت يبيع البيوت المحترقة ويقسم للناس انها جديدة حديثة البناء . . وهل تعرفون من انا ؟ . اني شاعر شهير يعتقد الناس ان له قلباً من ذهب والوانع ابي حمار لا افهم شيئاً . بل لسبب افهم الالهة الجميلة التي احترها في الشعر . .

وسيد بايت واسرع الى قاعة الطعام فلما لتعبه قدحاً من الخمر ثم رجع الى مقعده واجماً . . فكري الحياة الشاقة التي امضاها . . فكري في انه لم يتل الجزء الذي يستحق الا اذا كان صحيحاً ما يقوله الدكتور دوري من انه سيصيب الجزء الاكبر في العالم الاخر . . وما فائدة السعي في سبيل المال ما دام هذا المال لا يحمي سعادة او هناء ؟ . وما فائدة تربية الاطفال لكي يربوا . . ما بعد اطفالاً يربون بدورهم اطفالاً ؟ حلقة مفارقة لا فائدة لها . فكري كل هذا وما الذي يغيه من دنياه ؟

- نعم . . ما الذي يغيه من دنياه . ؟ المال . ؟ المركز الاجتماعي ؟

الخدم ! بيت جميل ؟ نعم .. انه يريد هذا .. ولكن ليس دائما ..
على انه كان ينسج في هذه اللحظة بأنه انما يريد بول
ويرلنج .
ونقلت نفسه الى فتاة احلامه .. ود لو يطير اليها ويتراعى
عند قدميها .

- ٢ -

في صباح اليوم التالي نسي انه كان بلائس متعبا ثائرا ~
قامضي ساعات عمله في مكتبه منهكا في إصدار التعليمات كالعتاد
.. ولما ذهب الى النادي أوما اليه سيدي فينكلين قائلا :
- لقد جاء المليونير !
وقال فيرجيل جانس :
- لم ار في حياتي من هو اشد اناقة من بايت !
واخذوا يمازحونه فرغم احدهم انه شاهد بايت يمازل مشر
التيات في وقت واحد . واجاب بايت على هذا المزاح بقوله
- لا تبشسوا يا اولاد .. سامينكم كبة في مكتبي .
ولكن المزاج لم يطب له .. كان ملولا ضيق الصدر متبرما ~
وفي لمة الى شيء لا يعرف له كنها .

- ٣ -

دعى بايت الى تناول العشاء تلك الليلة عند آل سوانسون ~
وكان جو المادية مرحا طريفا . واخذ ادي يساله عن زوجته وعن
اولاده . وامتعض بايت لهذا السؤال اذ كان في هذه اللحظة متبرما
حتى يأسره .
وفجأة رأى بايت فتاة احلامه تتمثل له على صورة لوبيا
سوانسون .
والتمعت اليه لوبيا وقالت باسمه :
- اظنك الآن تكابد حياة شاقة بعد ان مرت ارملا .
فضحك بايت وقال :
- ارجوك ان تدعى المخدر يوما لزوجك في شرابه وتسلمي الى
يمنى لتمضي سيرة سعيدة
فضحك ادي سوانسون وقال :
- من الآن فصاعدا لن اتناول شرابا من يد لوبيا الا اذا حلته
تحليلا كيميائيا .

ولكن المزاج لم يفرج عن بابيت ما يشعر به من الاكتئاب .
ودعه لوتيا إلى مراقبتها فقال :
ولكني لا أحسن الرفق .
— ساعلمك —

وعندما شعر بجسمها الدافئ العتي يلتصق بجسمه تبددت
هيمه تدريجيا وبدأت الحياة تطيب في عينه . وبعد أن رفعت
عنه لوتيا ثلاثة أشواط اعتصمت عن الشروط الرابع قائلة :
— أنى متبة والجو حار .
فقال بابيت في جراءة :
الآن هيا بنا نجلس في الشرفة .
وفي ظلام الشرفة لمس يدها في قفظة خيمه وقال :
— لقد رايتك في الحلم .
— أكان حلما جميلا ؟
— على غاية من الجمال .
فأبشبت واقفة حين اشتدت ضغطته على يدها وقالت :
— يجب أن أرجع إلى القاعة لأحيى الضيوف .
— أبقي لحظة واحدة يا لوتيا .. أوجوك .
— آسفة .. لا أستطيع .
وبعد دقيقتين جعل يقول لنفسه في خجل واستحياء .
— لا .. لا .. أنى لم أكن أقصد مفارقتها .. نعم . بكل تأكيد
لم أقصد مفارقتها !

الفصل الثالث والعشرون

— ٩ —

نظر بابيت في البطافة وقرا اسمها : « مسز دانييل جوديك »
ولم يدبر أنه سمع بهذا الاسم من قبل . وعندما استقبلها ألفاها
في نحو الأربعين من العمر . وأنياته أنها تريد أن تستاجر مسكنا
في الضواحي .. وقالت :
— فهل يمكنك أن تساعدني على العثور على المسكن المناسب ؟
وأعجب بابيت بصوتها الموسيقي ونانقها في ثيابها . وقال :
— إذا انسع وقتك الآن أمكنني أن أخرجك علم صفر المساكن .
ومالت إليه وهما في السيارة وقالت :
— أريد .. أنك تحسن القيادة !
وأحب صوتها .. وأحب لئاما . وقال في رهو وحيلاه :

- انى لست جيانا كاؤلك اللين لا يسرون الا بسومة عشرة
اميال اتحين القيادة السريعة ؟

- طبعاً .. طبعاً .. لاسيما اذا كان المائد بارعا عنلك ..
انها رقيقة مهذبة تحسن اختيار الالفاظ وليست كلويتا
سواسون التي تعزج في وقاحة وجراة .
ونظر اليها بايت وقال :

- اظنك تحسبن المزف على البيانو يا مسز جوديك ؟

- قليلاً .. اتحب الموسيقى يا مستر بايت ؟

- نعم .. اذا عزفتها اناامل جميلة
وهم بان يقول « كانامك » ولكنه لم يجسر
وقالت سالة :

- اتجبد الرقص يا مستر بايت

- كلا .. انى لا ارقص الا قليلاً

- انى على استعداد لان املكك الرقص .

فابتسم بايت وقال :

- لا تكررى هذا الوعد والا احذرك بكلمتك !

فضحكت وقالت :

- انى على استعداد للبر بوعدى .

- بودى لو امكنتى ان اجيد الرقص كالشبان .

وفجأة قالت سالة :

- هل انت متزوج يا مستر بايت ؟

فقال فى ارجلك وطعشم :

- نعم .. ولدى عضلا من هذا مشاغل كثيرة .. انى وكيل

نادى بوسترر وعصو فى نهاية المسامره . وعصو فى النادي

الرياسى .. وهذا كله معناه عمل كثير مرهق ومسئولية جسمية .

ومع ذلك فليس هنالك من يشكرنى او يعترف بفضلى

فعالت مسز جوديك فى عطف وحنان :

- انى امرف ذلك : ان المشاهير لا يالون مادة ما يستحقون

من تقدير .

ونظرت اليه فى احترام .

المشاهير . ! ما اذاكها . ! لقد عرفت منذ اول لقاء حرق

بينهما انه من مشاهير الرجال . !

وعندما وقف معها فى المسجد واضطر ان يلتصق بها شملت

يدنه الرعدة .

وبعد ان طافت مسز جوديك بالمكن الجديد قالت له :

- ما أجمل هذا البيت . ! وما أسعدني بأن أقابل شخصا
 ليبدأ مثلك يستطيع أن يفهم . ! لقد اطلعتني بعض السامرة على
 بيتون لا تطلق . !
 ولما خلا بايت الى نفسه جعل يقول :
 - ما اظرفها . ! ما اذكأها . ! ما اشد جالبيتها . . وهي
 متملمة متقعة . ! ما اغبانى . ! لماذا لم أحاول أن . .

- ٢ -

لم يفكر جورج فد . بايت في مناه أحلامه وحدها ولا في لوتيا
 سوانسون ولا في مسز جوديك وإنما سيهن جميع وجعل يفكر
 في مناه المايكور التي كان يراها كلما اختلف الى حانوت الحلاق .
 وذهب الى حانوت الحلاق . .
 وللمرة الأولى في حياته عزم على أن يصقل اظافره .
 وكانت الفتاة جميلة فتأناه ويدها حلوه بضة . وكانت بلا
 قواع جعل من يد مسز جوديك ومن يد لوتيا سوانسون .
 واستهل بايت المفاضة بقوله :
 - ان الجو حار الليلة وانت ترهقين نفسك بالعمل .
 - هذا صحيح . . يجب أن تصقل اظافرك دائما . انى اعتق
 ان الظاهر . (السيرة) هي التي تدل على غنى الشخص
 وبساره .
 هذا صحيح . !
 - لا بفضلك قولى فالى لا اعود الى المراحة الا مع الرجال
 الظرماء .
 وابتنسنا في وجهه فابتسم بايت في بلاهة .
 ثم قال فجأة :
 - اظن ان هناك كثيرين يحاولون مفازتك . !
 فحملت في وجهه وقالت :
 - ولكنى اعرف كيف الزمهم حذهم . .
 ولكننا الزمته حده بطريقة فذة لاذ لم تفرغ من صقل اظافره
 حتى كان بينهما موعد للقائه . !

- ٣ -

لم ير بايت ضمرا في فن يدعو الفتاة الى تناول المشاء معه .
 ولم لا . ! انها فتاة مسكينة من بيثة فقيرة ومن الرحمة أن يتبع

لها فرصة لقالة المشاعر . ولقد قالت مسرّجودك انه هو نفسه
من اولئك المشاهير .

وساء سوء الحظ ان تصاب مسيارته بمطرب في تلك الليلة
فاضطر ان يستاجر تاكسي . وما رأت فتاة المانيكور التاكسي حتى
ابتدعته بقولها

- اوه . . كنت اظن ان لك سيارة خاصة . ا

- ان لي سيارة طبعاً . . ولكنها اصببت يخلل الليلة . .

فلم تزد على ان ابتسمت اذ سمعت هذا القول مواردا من قفله .
وقصد بها بابيت الى مطعم في الصبواحي . واكتفى طويلاً
الطريق بأن يقول انه لم ير فتاة أجمل منها . وسمعت الفتاة
ترديد هذه الجملة . . فلما عاد يقول :

- اني لم ار . .

قاطعته بقولها :

- فتاة أجمل منك . . ا

ولكنه كان اشجع واجرا اناء العودة فقصدها بطريقها بلراحه
وحاول ان يعيها فامطع فبعتها على رصيفه السيارة . واضطر
ان ينتظر ديثما تتناول القهقهه وتردها الى راسها وتصلح من
وضعها .

وقال بابيت :

- امنحني قبله اخري .

وكرحت به ان يساذنها حتى في تقبلها . وقالت في ضحك : ا
اعطني سيجارة .

وظلت السيجاره بين شفتيهما حتى بلعبارها . وهما قد دمعا
اليه رجبتها ليعلم . ولوحت له بيدها وقالت تودعه :

كانت ليكننا هذه امتع سهره تدوقتها في حياتي . .

ولكن عندما ابتسمت السيليرة تنهدت وقالت :

- يا الهي . ا يا لها من سهره فظيمة . ا

الفصل الرابع والعشرون

- ٩ -

استيقظ بابيت في صباح اليوم التالي ناعماً على نفسه متبرماً
بسلوكه . هذه الثوره . . ا وما هذا التمرد . . ا وما الدامي الى
مفازاته النساء . . ا لماذا لا يردد كما كان مثلاً للزوج اوى الامين ا .
وما هي الثمره التي جناها ا . الخجل والعار . . الا يخجل حين

عامله فتاة المانيكور ايذا يوتيك بالازدراء والاحتقار . ٢ .

كلا . . لقد انتهى امره مع النساء .
ولكن تمرده ارتد اليه بعد ان أمضى في مكتبه بضع ساعات . .
إذا كان رجلاً حقاً : خاب في لوينا سوانسون أو ايذا يوتيك وليس
معنى هذا أن النساء جميعاً على هذه الشاكلة . من المحتمل أن
يوثق الى امرأة أخرى تفهمه وتجعله سعيداً .

- ٢ -

وجئت مسر بايت من رحلتها في شهر اغسطس
كل من عادته أن يتقرب يوم عودتها السنوات السابقة بفروغ
حسر اما في هذا العام فساءه أن تحضر واخذ يفكر في الكريمة
التي تظهر بها اغتباطه يعودتها دون أن يحس شيئاً من الاغتياب .
وإذا رآها تشق جموع المسافرين وهو في الطريق على الحافلة
اقبل عليها يصاقها ويقول لها :

- أنك في . حجة جيدة

ثم حمل ابنته تينكا وقبلها

كان في عيني تينكا معنى غريب ، كانت طفلة تنظر اليه
بعينين محبتين ، عينين نقيضان ثقة واحلاماً ، عينين تنطقان في
افصاح بأنها تعتقد أن اباها هو اعظم رجل في العالم . .
وفي اللحظة التي ضم فيها ابنته الى صدره ارتد ثانية كما كان
بايت رب الاسرة المحب العطوف .

ولكن تودته عاودته بعد بضع ساعات ، فسلم الدار .

- ٢ -

وامضى بايت عطلة السبوية على افراد . قسسان الى
شيكاجو ونفى فيها بضعة ايام ولكنه ما لبث ان ملها وتافت
نفسه الى السفر الى مين .

وذكر رحلته الماضية اليها مع صديقه بول ديرونج . وامضته
الذكريات وشق عليه أن يذهب في غير رفقة الصديق العزيز الذي
يمضي ايامه في السجن .

وبعد تردد طويل صبح حزمه على السفر الى مين . وقال في
نفسه :

- هناك استطع ان اتغنى عن نفسي الهوم . . استطع
ان اتذوق السعادة التي تلوثها من قبل مع بول . . . هناك

مأرى وجوها قديمة احبها .. وجوه الادلاء .. ووجه جـو
باراديس على الاحص .. لن هذا الدليل الكهل يحبنى حبا جما
... ولاشك انه سر حبيبى ونسبىنى متلعس

وما هبط يا بيت القرية حتى اسرع الى كـوح السـليل جـو
باراديس

وتفرس فيه الدليل طويلا وقال :

- بخيل الى انى رايتك من قبل

- نعم ، لقد كنت هنا فى العام الماضى ا اننى بايت

- مستر بايت ... لا اكتمك انى لا اذكر هذا الاسم ، ان
ذاكرى ضعيفة .

- ٤ -

فى اليوم التالى خرج بايت يشلق الجبال وفى رفقته دليله جو
ولكنه رجع من رحلته اشد اكتئابا مما كان ، ماغنى مكان الامانة
وجل بول من وراء قضبان السجن .. بول صديقه العزيز جين
وهو هنا يمرح ويلهو .. على هذه الصخرة جلس مع بول فى امام
الماضى .. وفى هذا المكان .. نعم فى هذا المكان بالغبط وقما بسفعا
التبغ .. وهناك ..

فى صباح اليوم التالى استقل بايت القطار راجعا الى زينيت

الفصل الخامس والعشرون

- ١ -

فى القطار الى زينيت راى بايت وجوها مألوفة يعرفها من قبل .
وكان من بينها وجه الاشتراكى سيبيكا دوس الذى رتج معه
عمدة للمدينة فى العام الماضى فلم تقطه الا حمـسـلات بايت
الانخبايصة .

وتصافح الرجلان فى شيء من العنود . وقال بايت :

- مسرنى اتى التقيت بك يا سيبيكا . انك لم تنس طبعا اننا
اكتا زميلين فى المدرسة .

فابتسم الاشتراكى وقال :

- وهل تنسى جهود التلمذة الجميلة .. انى لا ازال اذكر انك
كنت تقول ان فى نيتك ان تـحـتـرف المحاماة وتناضل الاغنياء دفعا
من الفقراء والعمال . واذكر انى انا نفسى كنت اتمنى ان اصـيـح

- ٢ -

من كبار الاغنياء ولم يكن ابالي في ذلك العهد بالعمل .
فقال باييت :

الواقع اني كنت دائما ماصرا للاراء الحرة .. ان عيب
الديموقراطية الارثوذكسية انها تريد ان تعطي على حرية الرأي .. لاننا
لا نتبع لسواما فرصة التعبير عما يرون .
- راي صائب .

- اني ارى ضرورة تاييد حرية الرأي . فان الجدل كفيل
بان يبدل آرائنا ويريل ما يعتورها من نقائص وعيوب .. ليس في
هذه الدنيا مخلوق من حق .. لكل مسالة من المسائل ناحيتها
الحاطة وناحية المناجاة . وبإبدال الرأي هو الكفيل بالوصول
الى الشجرة الناضجة .

فهتف الاشرافي دون قائلا :

- انتك الرجل الذي احتاج الى مساعدته .. الم تسمع عن
القس اجرام . ؟ الرجل الذي بنى المجمع الكنائسي طرده
وتجريد من القاب الكهنوتية ..
- لقد سمعت منه طبعاً .. اليس هو الرجل الذي يمشي
بالاناحا والحب الحر .. ؟

فذكر له منبكا دون ان هذا هو الرأي الشائع .. ولكن
الحقيده ان القس اجرام رجل مؤمن لريم القلب وكل ما هناك
انه - تر الاراء ولا يؤمن بالتقاليد الضعيفة تنقم عليه رجال الدين
ونظموا ضده حملة قاسية .. وعقب منبكا على ذلك بان رجلا
باييت .. يدخل بنا له من يعود لحمل المجمع الكنائسي على عدم
تجريد من لقبه . ووعد باييت خيرا .

وخلا طول الرحلة يستميدان ذكريات المدرسة .

وفي لحظة من الذكريات وما اثار في نفس باييت من رقة
وحزن اسف لا اسباب زبلا وحزن من اجل بول ريزلنج واعتقد ان
صينيكا دون ليس شريرا كما يشيرون .

- ٢ -

لم يكد باييت يهبط مدينة فزيت حتى فصد الى صرخة
زبلا وطلب مقابله . وتركته نصف ساعة ينتظر ثم دخل عليه
مقطبة الجبن وقالت في صوت جاف :

- اذا كنت .. جئت تحمل الى رسالة من بول الرمسلسها

الى عن طريق المحامي .

- بل جئت زائر .. جئتك بهفتي صديقا .

- لقد أبطأت كثيرا في الحضور بصفتك صديقا ؟

— الواقع يا زبلا اتى احجمت عن الحضور عقب الحادث
اعتقادا منى أنك ستكرهين ان ترى أحد اصدقاء بول ..
ثم استطرد قائلا :

— اسمى يا بلاء.. لقد اسفنا جدا للحادث الذى وقع ..
وكذلك ندم بول اشتد الندم عقب اطلاقه الرصاص .. واليوم
قلت فى نفسى ان زبلا امرأة كريمة القلب شديدة التسامح
وستكتفى طبعاً بما اصاب بول حتى اليوم .. فعلا ترين انه يصح
بك ان تصفحى وان تلتصق من المحافظ المفقود عنه .. كلا ..
اسمى .. الا تريدان ان تكونى رحيمة ؟
فقلت زبلا فى برود :

— نعم اريد ان اكون رحيمة .. ومن الرحمة بالانسانية ان
نظن بول فى السجن عبء لأمثاله من الاشرار .. اسمح يا جورج
.. عندما كنت طريحة الفراش فى المستشفى جعل الاب فلرسون
يتردد على مرة او مرتين فى اليوم .. أنك تعلم انى كنت ميمما مضمي
ولومه بالوقص والمسررات والهوى ولكن الاب فلرسون اهمنى ان
كل هذه التبعات امراض زائلة فلا يبقى الا التقوى والايمان ..
لقد ادنانى من عرش الرب واسمعى صوته الحكيم ان يوم
الدبلونة قريب .. وعندما مستظف التوا اهداء الكنية والمنافقين
الذين يؤمنون بالسنهم يبلعدون بقلوبهم ..

واسترسلت زبلا ربع ساعة كاملة فى القاء محاضرة دينية
مطهية واختمتها بقولها :

— فمن نعم الله الكبرى ان بول فى السجن .. فعسى ان يكسوه
فى هذا القصاص ما يردمه عن الشر وما ينفذ روحه الشقية
من الضلال ..

ولما فرغت من حديثها قال بايت :

— ولكن التسامح يا زبلا هو روح الدين وعمله .. من ضربه
على خدك الابسر فادر له الايمن ..

— ولكن الدين لا يقر الجريمة .. ليترك يؤمن بالله كما اؤمن
لأنه .. فى الدين السلام والهدوء والهدوء .. عندما امتلئ على
بول اتقلنى من الشر الذى كان يحتل فى نفسى .. انها لحكمة الهية
ان اتتج الشر خير .. اما بول فسيبقى فى السجن جزاء ما اقترف ..
ورفعت يدها الى السماء وقالت فى صوت يفيض جلالا
وايمانا :

- أسالك يا الهى بحق ايماني بك وبحق قواى وقلوبى ان
نصب على رأس بول اشد الكوارث والنكبات
فانبث بايت واقفا وصاح قائلا :
- اذا كان هذا هو الايمان فليت شرى كيف يكسبون
اللعنــدون ؟

- ٣ -

رجع بايت الى المدينة ، ورجع الى اصدقائه الذين منهم :
والى اسرته التى برم بها ، والى تدمره وزمجرته .
واقبل عليه تبسدا يقول :

- ابنى ، انى لا اريد ان التحق بالجامعة . وانما اولر عليها
ملوسة الميكانيكات .

- ان لخريجي الجامعة بايتى مكانة لا تقاس اليها مكانة خريجي
المدارس الاخرى . . فى الجامعة يمكنك ان تدرس القانون وفن
الخطابة فلا تلبث ان تصبح من الشخصيات البارزة فى مدينتك
فتتنجب عضوا فى احد الأندية الثميرة لم وكبلا للنادى لم
وليسا ثم . .

واخذ بايت يتلوج بانه حتى جعله عضوا فى البرلمان ، وهرج
من ذلك الى الاطناب فى مزايا الفرائص القانونية ، وكيف ان
المحاميين مستقبلا باهرا . واخذ يسرد اسماء بعض المحامين
المشهورين وكان اسم الاشتراكي سينكادون من الاسماء التى
وددها ، فقال تيد معترضا :

- سينكادون ؟ ولكنى اذكر انك نعمته يوما ما بأنه غيبى لامهم
شيئا .

- ابهذه اللهجة تتكلم عن مشاهير الرجال ، ان «دون» صديق
قديم لى . وكان زميلا لى فى الدراسة . . الاته يعطف على العمال
يرمى بالجهل والغباء . ؟ حقا ان بلادنا فى حاجة الى التسامح وفى
حاجة الى حرية الرأى .

وفى الاسبوع التالى جاء تيد الى ابيه مشرق الوجه وهو يقول :

- ابنى ، قلت لى ابيه ينبغي ان ادخل الجامعة لافوز فى
الانتخابات السياسية بعد تخرجى . فما رايك فى ان اشتغل عاملا
فى المساجم . ؟ لقد نجح مرشح العمال فى مقاطعة اوهر و صار عضوا
فى البرلمان ، مع انه لم يتخرج من الجامعة .

الفصل السادس والعشرون

- ٩ -

أعلن العمال في مدينة زينيت الاعتصام العام ، وطالبوا بزيادة أجورهم وانتظمت حملات التليغون في مظاهرة كبيرة اختترقت الشوارع والطرق وقد حملن اعلاما كتب عليها :

« أجربنا اليومى دولاران »

« أيكى الدولاران للطعام »

« اذا رأينم وجوهنا شاحبة »

« فاعلموا أننا نموت جوعا » .

وحملت جميع صحف المدينة على المضربين عدا صحيفة واحدة فاصرلهم وايدتهم في حركتهم . ودعى رجال الجيش الى تشنيت المظاهرات تحت امرة الكولوبيل نيكسون . ولم يكن للمدينة حديث الا عن الاصراب . وانقسم الناس فريقين اما مستنكر للحركة واما مجيد لها .

واختار بايت هذا الوقت لاعلان آرائه الحرة .

كان بايت في أول الامر من الناقمين على الاصراب . وكان يرى ان العلاج الوحيد هو شتى الحرضين الاشرار في غير رحمة او هوادة . وساءه ان يدافع صديقه سيثيكادون عن المضربين الذين اعتقلهم البوليس ولكن عندما قرا الصحيفة التى ناصر العمال اقتنع بمدالة مطالبهم وقال :

« ان العمال في حاجة الى الانصاف .

وأعلن القس الدكتور جنسون دورى عزمه على القاء محاضرة موضوعها : « الدين ينهى الاضرابات » فعزم بايت على حضور هذه المحطة الدينية السياسية . وصحب الشاعر فريك الى قاعة الاجتماع .

واستهل القس عظته بقوله :

« لم يكن احد على العالم جناية اكبر مما جناه العلماء . ينكر العلماء وجود الله ويقولون ان الدنيا اما خلق غفوا ودون ان تدبر امرها يد حازمة قديرة . يزعم هؤلاء العلماء المجهلة ان الدنيا خلقتنا صدفة . وكأننا لا يكتفون بتسميم العقول بترهاتهم فجاءوا اليوم يريدون ان يفسدوا العلاقات بين الناس بايجاد أنظمة لاستقيم مع النظام الطبيعى الذى خلقه الله . . جاءوا اليوم يطلقون الاحتكار والمناقسة وبقايات العمال وبقايات اصحاب المصانع . . الى غير ذلك من الانظمة الاقتصادية الفاسدة هذه الانظمة التى تنشر بالويل الشديد » .

أيها العلماء الذين لا يفقهون في العلم شيئا .. حطموا انتمتكم
الاقتصادية وافسحوا المكان للدين . الدين وحده هو الكفيل بانقاذ
البلاد . الدين يدمونا الى الحب والتسامح والصنع . وبهذه الخلال
تسوى الخلافات ويقضى على أسباب المنازعات .

تصوروا مصنعا ترون فيه بدلا من نقابات العمال التي تناوى به
المولدين . ونقابات المولدين التي تناوى العمال .. أقول تصوروا
بدلا من هذا مدير المصنع يطوف بين عماله ويبتسم لهم وهم يردون
اليه ابتسامته بابتسامة أطرف وأحلى . اخ كبير يحنو على أخوه
الصغير .. بهذه الاخوة تنتهى الاضرابات . وتفض المنازعات بين
العمال وأصحاب الاعمال ..

وما فرغ الدكتور دورى من اعلان راي الدين في القضاء على
الاضراب حتى لمعم بايت قائلا :
- كلام طارح ، أ سخافات .

فقال شام فرنيك في استغراب :

- ماذا تقول ؟

- انه لم يقل شيئا .. كلمات منقطة ولكن ليست لها اية قيمة

عملية اولى به أن يكرس وقته لانقاذ الارواح بدلا من انقاذ العمال .
ونظر فرنيك الى بايت في دهشة وريبة .

- ٢ -

أعلن العمال عزمهم على القيام بمظاهرة سلمية . فقرر البوليس
منعها وشتيت المتظاهرين . وجلس بايت في النادي الرياضي
يقول :

- ماهذه السياسة الخرفاء ؟ لماذا شتت البوليس المظاهرة
بالقوة مادامت سلمية لم يرتكب فيها أى عنف . أ اليس للعمال
الحق في أن يسبوا في الشوارع والطرق ؟

فقال أوردفيل جونز :

- اتريد أن يصبر عليهم حتى يرتكبوا اعمال العنف وينسفوا
المصانع .

وصاح البروفسور بانفري في غضب :

- ابدافع عن أولئك الاوغاد الذين يطالبون بزيادة الاجور
ونطالبون بالاستيلاء على الخبر الذي تقدمه الى زوجاتنا وأبنائنا ؟
أما هيرجبل جانس فاكتفى بأن نظر الى بايت في احتقار .

وعندما هم بايت بمقادرة النادى لمح شام فرتيك يتحدث الى
جانشر ولما مر بهما سمعه يقول :
- الحق انى لست اذرى مادعاه .. لقد ندد بالمحاضرة التى
لقاه الدكتور دورى .
واستولى الخوف على بايت .

- ٣ -

قال بايت محاطا بزوجته :
- فى هذه المدينة جمعة من المجانين يعتقدون ان العامل اذا
اضرب اعلى شيطانا يحل قتله . وهذه الاعتصابات فى راي راجعة
الى غلظه اصحاب الاعمال . فلو انهم احسنوا معاملته عما لهم .. لو
انهم شامروهم الارباب التى يرجع الفضل فيها الى هؤلاء العمال
لما وقعت الاعتصابات .

فقالت مسز بايت فى شيء من الدهشة :
- عجبا ! كذب اطلب باجورج ممن يادون بضرورة القضاء
المضري فى السجن .
- انا ! انى لم اقل شيئا من هذا القليل .. او اعلى كذب
اقصد بمسز المضربين .. طبعا .. طبعا المحرضين غير المسئولين ..
ولكن يجب ان يكون الانسان بصيرا لحرية الراى .
- يا الهى ! حرية الراى .. الم تظن ان الاحرار هم شري
المخلوقات ؟

- اوه .. ما .. ان المرأة لا تستطيع ان تفهم اذا مدلولات
الانفاذ ! ان هؤلاء المضربين ليسوا اشرارا ولكنهم جيلة .. انهم
لا يفهمون اسرار الادارة والمصوبات التى يلاقونها اصحاب الاعمال .
ولكن فى بعض الاحيان يحيل الى ان من الظلم ان تعامل العمال
كانهم نطبع من الحيوانات . ان لهم حقا فى رفع اجورهم لايهل عن
حقنا فى مصاعفة ارباحنا .

- جورج .. لو سمعت احد يتحدث بهذه اللهجة لحبك
اشراكيا .

- فليكن .. وهل الاشراكية عار ! ابنى ..
فقاطعه مسز بايت بقولها :
- انك متعب يا بايت . فاذهب الى فراشك وقم مكررا ؟
ولما ادعى على فراشه قال فى نفسه :
- بودى ان اذهب الى سبيكا دور لتتبادل الراى قليلا ..
ولكن لتفرض ان فيرج جانشر رانى ادخل داره !
ثم تنهد وقال :

— بودى ان التقى بامرأة ذكية تفهمنى وتقدر آرائى وتنتصت
الى اذنا ما اعصيت اليها بما فى نفسى .. ومع ذلك فما يدرينى ان
ميرا على حق هل من المستبعد أن يعتقد الناس انى اشتراكى اذا
سمعوى اذائع عن العمال ؟

الفصل السابع والعشرون

— ٩ —

اتصلت مسز جوديك بليفونيا بمستر جورج ف . بايت
وأبنايه ان سقف الدار التى استأجرها فى حاجة الى شيء من
الترميم . فقال :

— سأحضر بعد الظهر لافحص الامر بنفسي .
— شكرا لك .. واذا سمحت قدمت اليك قدحا من الشاي .
وهذا واجب وانت تجسم مؤونة الحضور .
وقال بايت فى نفسه :

— انها امرأة مهذبة : سأقدم اليك قدحا من الشاي لانك
جئمت نفسك مؤونه الحضور . انها امرأة تعرف كيف تقدر
الرجال .

وكانت مسز جوديك فى انتظاره وقد ارتدت ثوبا من الحرير
الاسود ذا اكمام متقوسة يؤكد بسواده جمالها الناصع العنان .
ودار بايت بعينه فى الغرف وقال :

— لقد ائت ببتك بما يدل على سلامة الذوق .
— هل احببك حقا . أ انى سميدة بذلك . ! ولكنك اهلنتنى
اهملا شيئا . ألم تعدنى بالحضور لاعلمك الرفعى . !
فقال فى ارتباك :

— كنت احبك تمزحين .
— كان ينبغي أن تجرب ا
— فليكن .. ها انذا موجود الآن فلنبدا الدرس الاول . !
وشحك الاثنان بطرقة تدل على انه لايعنى مايقول .

وقدمت اليه قلدح الشاي .. ثم كاسا من الويسكى . واخذ
يتبادلان الحديث . او بصارة اخرى اخذ بايت يتحدث وهى
تصغى اليه .. كانت كلها آذانا صاغية .. كانت مرعقة السمع
حتى الى السخافات التى يلقيها .. حدثها عن آرائه والإشتراكية
وضرورة انصاف العمال فامشت على كلامه وحدثها عن مقدرته
الحظائية العدة فعالت ان الناس جميعا يطرون مقدرته وانها قرأت

جميع خطبه واعجبت بها (وإن كانت في الواقع لم تقرأ خطبة واحدة منها) .. وجدتها عن متاعبه التزلية فرثت لحاله وريثت في رفق على يده وتلقى وجهها بالعطف والحنان ..

جدتها عن مطامحه ومطامحه فقالت انه رجل عظيم . وحين قال انه يرجو أن يصبح عمدة المدينة قالت ولم لا تكون عصوا في البرلمان ولك كل هذه المواهب الفذة ؟
وشعر بابيت بأنه أزاء امرأة تعمه .. وتقدره !
وامتد بها الحديث ساعات طويلة . وبدأ المطر يتساقط .
وعصفت الريح . واشعلت تانبس جيدوك المدفأة الكهربائية ..
وبدت العربة في نظر بابيت دافئة .. أنيقة .. مريحة .. تبهر الأطمئنان في النفس .
واستولت عليه نشوة جارفة بددت من قلبه كل اثر للخوف أو الشك أو التردد .
وعندما غادر مخدمها بعد منتصف الليل ساعات شعر بأنه أسعد رجل في العالم .

- ٢ -

لم يستطع بابيت أن ينسى تانبس جيدوك .
كان رأسه محشوا بالكريات . وكانت ذراعاه تلهفان اليها .
إكان يتحرق شوقا إلى ضمها إلى صدره .
وقال في نفسه :

— لقد وجدتها ! . حلمت بها كل هذه الايام الطوال . والان عثرت عليها .

في الصباح يلتقيان ويذهبان إلى دور السينما معا غير مهبال بعمله أو مكتبه . وفي المساء يلتقيان مرة أخرى فيتناولان العشاء في أحد المطاعم ثم يذهبان معا إلى دارها . وتناهت أيامهما حافلة بأجمل الذكريات والضحكات .

ولذهب بها إلى ملهى الانزلاق على الجليد .. وانزلت تانبس لثوق الجليد في رشاقة ومرح وكانت ضحكتها اللطيفة تدوى في أذنيه .. أن مرا بابيت لم تنزل مرة في حياتها !

على انه كان يخشى أن ترى في رفقته قبيلغ الثبا زوجته ..
أعتادت زوجته أن ترى فيه مثالا للزوج الوفي الأمين . مهل يغيب رجاءها الآن .

أجمل يمارن بين رشاقة تانبس وتروهل زوجته .. بين حنان

تاتيس وبين وجوم هذه المرأة وكلماتها المضطربة الخالية من الحرارة والحساسة .

وقالت له تزوجته :

— جاتنى اليوم خطاب من اخى بانها مريضة فيحسن لى ان اسافر لامضى اسبوعين او ثلاثة معها .

واغتنط بابيت بسفر زوجته . وفى الوقت ذاته حاول أن يبلى اسفه لفراقها .

ووقف يودعها على المحطة . وعندما ابتعد القطار وتوارى عن الأنظار تراءت له صورة تاتيس . كانت ماسطة اليه ذراعها تلمسه اليها . تدعو الى احضانها .

وهز بايت رأسه وقال فى عزم واصرار — كلا .. كلا .. لن اذهب اليها ! لن اذهب اليها الا بعد

اسبوع على الأقل .

ولكنه ذهب اليها فى الساعة الرابعة .

- ٣ -

التقى جورج ف . بايت بأصدقاء تاتيس .. وشرف الودسكى الردى . . وصبح كما يصفون . . وعريد كما يعربدون . . وفى كل يوم كان يقول فى نفسه :

— يجب ان اهجرها . نعم ساهجرها .

ولكنه لم يزل على ان يحس نفسه معها ليلة واحدة . كان اغلب اصدقائها من الشبان . . كانوا فى مثل سن انه يريد . ولكنه مع ذلك لم يتخرج من الاندماج بينهم . .

ولان مفروضا ان يرقص . . مرقص . وكان مفروضا ان يردد النكات المبتدلة . . فرددها .

كان سعيدا بهدد الجماعة الجديدة . . كان سعيدا هؤلاء الاصدقاء . ولكن فى بعض الاحيان يحالجه الضجر فيتمنى لو أنه لم يعرفهم .

وكانت هناك فتاة تدعى كازى من بين صديقات تاتيس . . وكانت فتاة رشيقة طريفة . ورفقت مع بايت ثلاث مرات . واحس من شبابه العصر شابا يسرى فى يده . فلم يملك أن قبل خصلات شعرها .

وراءه تاتيس فغضبت .

وعندما رجع بايت الى داره فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل احس فراغا كبيرا . . طابت له حياته الجديدة وكره من بينه سكونه وهذونه الذى يشبه هدوء العصور .

وفي الليلة التالية دعى باييت الى حفلة ساهرة اقيمت في بيت
كاري .

وارتدت تانيس الثوب الاسود الذي رآه عليها في اول مقابلة
جرت بينهما ، ففتته جمالها وندم على تودده الى كاري في الليلة
الماضية .

وفي اليوم التالي ابتاع باييت ربط عتيق راحية اللون لشمى طبه
من الشباب ماخضه بتقدمه في السن . كان يعرف ان الكهول قدبت
في اوصاله . وان من المستحيل ان يرتد شابا بافعا كأصدقائها . .
ولكنه تعاسك وتغافل عن بدائته وكرشه . فرقص كما يرقصون
ولبس كما يلبسون وتحدث كما يتحدثون ، ليبدو فتيا مثلها ، او
مثل ما يحاول ان يتظاهره به .

- ٤ -

جاء دوبليرو الى زيارة باييت وقال له :

.. سافيم عدا حفلة ساهرة فلم لانحصرها ؟

وكان باييت يمعن جاره دوبليرو ويعده من الرماع ويندد
بسلوكه وسلوك زوجته ونلك الحملات التي يقمها ويقدم فيها
الخمر المهربة الى مدعويه . كان يعتبر ان دوبليرو نكبة على الاخلاق
والعفيلة ، ولكنه في تلك الليلة لبى دعوته عن طيبة خاطر .

وبمساعدة تانيس وكاري ودوبليرو وغيرهم من رفقاء السوء
لم يكن باييت ليرجع الى داره الا قبل العحر . مترنحا ودائحة
الخمر نفوح من فمه . . واذا ما وجد فيرونا وصاحبها سكوت
جالسين في قاعه الاستقبال اسرع بالعمود الى مخدعه حتى لا يراه
ابنته على هذه الحال .

واذا ما أخذ حماما ساخنا وتبدد اثر الخمر من راسه تذايلدرك
حقيقة الموقف . عجبا ! . اكان ينتظر احدا ان يحل يوم اقدم فيه
على هذه العمال ؟ . انا الرجل العاقل القويم الاخلاق اسكروا ويريد
واحاطل الشبان الانفاع ؟ . انا اردد اسحق الكلمات واغنى اتج
الاغاني ، واحاول ان اقبل العتيات ، كلا . . كلا . . لقد انتهى كل
شئ ومحال ان اذهب مرة اخرى الى هذه المرأة .

وفي الصباح بخور عزمه الى حد ما . . وعند الظهر بحالجه
التردد . . وفي المساء يذهب من جديد . !

واستصحب باييت صاحته تانيس الى احد المطاعم الفخمة
وتناولوا العشاء هناك . . وشاء سوء الحظ ان يذهب فرجل
يجائش الى هذا المطعم في تلك الليلة . . ورأى الشيعي ،

وبعد ثلاثة أيام جاء قيرج يزور بابيت وقال له :
- مارايك بأصاح .! لقد اتفقتا على إنشاء جمعية باسم
« جمعية الرجال الإحبار » أعضاءها خريجو الجامعات الأمريكيون
الذين تطوعوا في الحرب الماضية . ومن أغراضها محاربة جميع
التزعمات الحطرية والآراء الحرة المفسدة للعقول وتقوية روح الفضيلة
وحث الناس على التثبت بالعقيدة الدينية . . فهل تحب أن تنضم
إليها .!

فهمز بابيت رأسه وقال :-

- هذه مسألة نحتاج إلى تفكير . .
- نحتاج إلى تفكير .! - عهدي بك ولو ما بالانتصار للفضيلة .
- نعم . ولكن . .

فقال جانشي في صوت صارم :-

- لست أدري ما الذي دهالك يا جورج . . ولكنني استغرب
كيف ذهبت منذ أيام إلى المطعم وفي رفقته هذه المراه .! وكيف
تدافع عن العمال ورميهم المحرض الشرير سينيكادون . . وكيف
تؤيد القس الملعون الدكتور انجرام . . ولقد حدثني البروفسور
بانمري أنه رآه منذ أيام في رفقة نفر من النبان وهم يريدون
ويسكرون . فماذا دهالك يا جورج .!
فقال بابيت :-

- يظهر أن هالكوما يعرفون من شئوني أكثر مما أعرف .
- لأنفسب يا جورج . . أنك تعلم مبلغ صداقتي لك . ولهذا
أكرت أن أكاشفك بما في نفسي بدلا من أنكلم في غيبك كما يفعل
الآخرون . . لقد كنت لنفسك يا جورج مكانة في الهيئة الاجتماعية
فأنت مطالب بميانة هذه المكانة والارتفاع بعك بدلا من الانحدار
بها إلى الدرك الأسفل .

وأنصرف قيرجيل جانشي .

وفي ذلك المساء تناول بابيت عشاءه منفردا . وظل طول الوقت
حائفا قلقا . وقال في نفسه :-

- لن أذهب الليلة إلى تاتيس . . نعم . لن أذهب إليها .!
ولم يذهب إليها . . إلا في ساعة متأخرة .!

الفصل الثامن والعشرون

- ١ -

بعد أربعة أسابيع رجعت مسر بابيت من زيارة اختها المريضة .
وحملت إلى زوجها علبة سجاائر من الذهب هدية له . وقالت وهي
تقدمها إليه :-

— امسرور انت بمودى . . ؟

— طبعاً .

— بلوح لى اناك لم تشعر بغيبتها . ؟

ولعله لم يشعر حقاً بغيبتها . ولكنه الآن وقد رأى فى وجهها
دلائل المطف والحنان شعر بما يجذبه اليها .

وانقطع بايت أسبوعاً كاملاً عن زيارة تانيس . ودرس وقته
للعناية بزوجه فجعل يرافقها الى المسرح وإلى السينما . وزار
معها أسرة ليتل فيلد . ولكن تانيس لم تثنأ أن تنأه وان كان هو
قد نسيها .

انصلت به تلغرافياً . وكتبت اليه . ودعته الى لقائها . ولكنه
أصم أذنيه من النداء .

- ٢ -

قالت مسر بايت لزوجها :

— الا ترى يا جورج انه يحسن بك ان تطلع من التدخين ؟

— يودى ان أعمل ذلك .

— ويحسن بك ايضاً ان تقنع بأطعمة خفيفة فان معدتك متعبة
وكذلك يجب ان تكف عن الخمر .
فصاح بايت فى امتعاض :

— معدتي متعبة . . اظن ان فى وسعى ان أحتى خمسين

كأساً دور ان أنتشى .

— انى أحتى ان يزل بك المرض نتيجة لأفراطك .

— نتيجة لأفراطى . . انى لست طفلاً . . اتسميه امراًطاً

وانا لاأتناول الا كنوساً قليلة . . هذا عيب النساء . . دالعامولات
بالمبالغة .

— ماذا دهالك يا جورج . اتخاطبني بهذه اللهجة وانا لاأتحري

الا صالحك .

— صالحي . . وهل تحسبني طفلاً قاصر . ؟

— انفضب وانا أحاول ان أصون صحتك .

— لاشان لك بصحتى . . دعبنى افعل مايطو لى . . لقد

كهرت هذه الحياة المضطربة . . من المنزل الى المكتب ومن
المكتب الى المنزل .

فقاطعتة بقولها :

— وانا . . اليس حياتى مضطربة مئة مثل حياتك . . ؟

اليوم الواحد اعد ثلاث وجبات . . وفى العام ٢٦٥ يوماً . .

واتى اعنى بحياكة ثياب الاولاد . اتسقى البيت ا . اشرف على
الفيل . . ارمو الجوارب . . اذهب الى السوق . . كل شىء ما تولا
بنفسى . . البيت هذه ايضا حياة مملّة ! .
نقال زوجها فى شىء من الفحشة :
- ولكن فى . وسلك ان تقوى ببعض الزيارات فتشفى من
صلبك .

- وهل بنفسى عن صبرى ان ارى نفس الاصدقاء الذين اراهم
منذ عشرات السنين . ! اما انت فيجب ان تكون سعيدا مفتحا
وانت ترى فى كل يوم وجوها جديدة . . وجوه عملائك الذين
يترددون يوميا على مكتبك .
- ان هؤلاء العملاء نقلاء سخفاء .
- جورج . . لا تزعق فى بهذا الشكل ! .
- اتى لارعى عليك .
وانبعث جورج بابيت وانفا وغادر البيت وهو بصخب لامنا .

- ٣ -

مرت ثلاثة ايام وجورج ف . بابيت لا يوجه الى زوجته كلمة
واحدة .
وفى الليلة الرابعة ذهب الى زيارة تانيس جيدوك . ولم يعد
الى بيته الا قبل العجر والخمر تعرج من فمه . .
وقالت زوجته وهي رافدة فى فراشها :
- هل امضيت وقتا سعيدا . . !
- بل وقتا منكودا ! اهلك استحواب آخر !
- ما الذى دهاك باجورج . . كيف تحاطبني بهذه اللمحة !
- احاطبك بهذه اللمحة لانك تقحمن نفسك فى شئوى . .
اكنيت تربدن منى ان امضى السهرة كلها هنا احلق فى وجهك
الدميم . . !
ولاذت مسز بابيت بالحمت ولم تقل شيئا .

- ٤ -

فى صباح اليوم التالى لم تعادر مسز بابيت فراشها الا شعرت
بالم حاد فى جنبها .
وقال بابيت : احبين ان ادعو الطبيب . !
- لا دامى لذلك . . اضطراب هضمى فيما اعتمد .
- ولكن الالم اشتد عليها فى المساء ودعى الطبيب الى محبتها

فكتب لها مسكنا . وعادها الطبيب في الصباح . ثم رجع بعد ساعتين ومعه طبيب آخر ونحسها معا . ثم تعدنا الى بايت قائلين :

- ان زوجتك مصابة بالتهاب الزائدة الدودية .. ولابد من اجراء عملية جراحية لها في الحال .. وستأمرينقلها الى المستشفى وشعر بايت بالخوف يملا نفسه وانقبض قلبه . وامسك بيد زوجته في رفق وقال :

- لقد رأى الطبيب يا عزيزي ان بحرى لك عملية جراحية .. وسيكون الامر هينا جدا .. لن تستغرق العملية اكثر من دقائق قليلة .

وقالت مسز بايت في صوت مرتعد :
- ابق الى جانبي يا عزيزي .. انى خائفة .
وجثا بايت الى جوار الفراش .. ووضعت زوجها بدها على رأسه وتخللت شعره باصابعها الضيقة .
وبكى بايت وقبل اطراف ثوبها . وغمغم بقول :

- لقد ما احبك ! انى احبك اكثر من اى شيء آخر في العالم
صرفنى عنك العمل والهموم والمسؤوليات .. ولكن كل شيء قد انتهى الآن . ورجعت اليك من جديد .

- حقا .. لقد كنت افكر يا جورج منذ قليل ان من الخير ان انتهى .. كنت اتمنى ان اموت .. كنت اشعر بان ليس هناك من يحتاج الى او يريدني . وقلت لنفسى : ما فائدة الحياة ؟! لقد أصبحت مجوزا دمية .

لغمغم بايت في صوت متهدج قائلاً :
- بالك من بلهاء .. أ بالك من بلهاء ..
وقبل بدها وبللها بعبراته المتساقطة .

وفي الوقت الذى اجريت فيه العملية الجراحية لمسز بايت كان زوجها يتمشى في البهو خارج قاعة العمليات وهو يرسل بصره الى السماء من لحظة لآخرى وغمغم قائلاً :
- رب اتقدها ! رب اتقدها !

واستجيب الدماء .. ونجث مسز بايت من الموت !
ونجا مستر جورج ف . بايت من الدمار ! ورجع الى أسرته !

((تمت))

هيئة قناة السويس

تحليل حركة الملاحة في القناة

أكتوبر سنة ١٩٦٢.

الحركة الملاحية :

سجلت السفن العابرة بقناة السويس خلال شهر أكتوبر ١٩٦٢ رقما قياسيا جديدا لم يحققه من قبل حيث بلغ المتوسط اليومي ٥٤٨ سفينة ، وكان الرقم القياسي السابق ٥٢٤ سفينة يوميا في أبريل ١٩٦١ ، ٥٢٢ سفينة يوميا في نوفمبر ١٩٥٨ .

وقد بلغ عدد السفن التي عبرت القناة خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦٢ - ١٦٩٨ سفينة مجموع حمولتها الصافية ١٨١٨٥٤٥٣ طنا مقابل ١٥٦٧ سفينة حمولتها الصافية ١٥٩٥٨٨٢٧ طنا ومتوسط يومي قدره ٥٠٥ سفينة في أكتوبر سنة ١٩٦١ .

وبلغ عدد السفن العابرة من الشمال الى الجنوب خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦٢ - ٨٥٢ سفينة مقابل ٧٨١ سفينة في أكتوبر سنة ١٩٦١ بزيادة قدرها ٧١ سفينة ، وذلك نتيجة لزيادة عدد السفن الفارغة بمقدار ٩٢ سفينة « ٥٧ مقابل ٣٦٥ » بينما نقص عدد السفن المحملة بمقدار ٢١ سفينة « ٢٩٥ مقابل ٤١٦ » .

أما السفن التي عبرت القناة من الجنوب الى الشمال فزادت ايضا بمقدار ٦٠ سفينة حيث بلغت خلال أكتوبر ١٩٦٢ - ٨٤٦ سفينة مقابل ٧٨٦ سفينة في أكتوبر سنة ١٩٦١ ، ويرجع هذا الى زيادة عدد السفن المحملة بمقدار ٦٠ سفينة « ٨٠١ مقابل ٧٤١ » بينما لم يحدث أى تغيير في السفن الفارغة .



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع ميسرة - مصر الجديدة

ل.٧٥٣ / ل.١٤
ل.٥٨٨ / ل.٨١٤

مليون

52
ba

Bibliothèque Alexandrina



0540422

العدد ٢

العدد ٢٠٩